[illegible] الكتب

من كتب أضعف العباد إلى الله الغني
[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الاعراف مكية وهي مايتان وخمس ايات كتاب خبر
محذوف اي هو كتاب انزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في
صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا وسمي الشك حرجا
لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه
اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم
واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه
الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت
بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك
اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور
متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى
قلت يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر
به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب
او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار
وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه
قلت هو من قولهم لا ارينك هنا اتبعوا ما انزل اليكم من القرآن والسنة
ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الانس
والجن فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله
وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب
الله وسنة محمد والله ما نزلت اية الا وهو يحب ان يعلم فيما انزلت
وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن بدع عن الاسلام
ويحتمل ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله
اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ
تذكرون بحذف التاء وتتذكرون بالياء والتاء وقليلا نصب بتذكرون
اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة وكم من قرية اهلكناها

وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون

بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بايتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة
حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا
بايتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو
الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف
للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير
في فجاءها لقوله او هم قائلون فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس
بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة
ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد
هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح
انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع
حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك
جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد
هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا
والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا اهلاكها
كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت
القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما
اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب اهلكوا
وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من
مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه
ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا يستغاث من الله
بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم
لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم
وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر كان وان قالوا رفع اسمه
ويجوز العكس فلنسالن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور
وهو اليهم ومعناه فلنسالن المرسل اليهم وهم الامم نسالهم عما اجابوا

به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونسال المرسلين
عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم
على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة
واقوالهم وافعالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت
ما معنى سوالهم مع اقرارهم بذلك وكونه يقصه عليهم قلت معناه
التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياوهم
والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه
على الابتدا وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسال الله الامم
ورسلهم الوزن الحق اي العدل وقرى القسط واختلف في كيفية الوزن
فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق تاكيدا
للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون
بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم
الملايكة والانبيا والاشهاد وكما يثبت في صحايفهم فيقرونها في موقف
الحساب وقيل هي عبارة عن القضا السوي والحكم العدل فمن ثقلت
موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن
وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان
توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيات ان يخف
بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها مكناكم في الارض
جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف
فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهو ما يعاش به من المطاعم
والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح اليا وعن ابن عامر
انه همز على التشبيه بصحايف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا
اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملايكة
اسجدوا لادم من الساجدين ممن سجد لادم الا تسجد لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لان لا يعلم اهل الكتاب يعني ليعلم

فان قلت فما فايدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي يدخل
عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق
السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك
ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم ساله عن المانع من السجود
وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره
وافتخاره باصله وازدرايه باصل ادم وانه خالف امر ربه معتقدا انه
غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب فان
قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب
ان يقول منعني كذا قلت قد استانف قصة اخبر فيها عن
نفسه بالفضل على ادم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل ادم
من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد
ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه
الصفة كان مستبعدا ان يومر بما امر به فاهبط منها من السما التي
هي مكان المطيعين المتواضعين من الملايكة الى الارض التي هي مقر العاصين
المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي انك
من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليايه لتكبرك
كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما
اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله
رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله
الى الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد
عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلا العباد وفي مخالفته من اعظم
الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ
والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما اغويتني
فبسبب اغوايك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي
ولم يثبت كما ثبتت الملايكة مع كونهم افضل منه ومن ادم انفسا ومناصب

وهصه
كسره

وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي
في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم
فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلا قعدن يصد عنه
لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم
المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك
اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما
اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه
تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما
حكوه عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من الفقهاء يرمى بالقدر
فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا
لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي
نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا
الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه
قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل حرف
الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي
الفصيل اذا بشم والبشم فساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم
على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه
على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم
ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله عليه السلام ان
الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع
دين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له اتدع ديارك
وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل
فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه فقاتل ثم لاتينهم من الجهات الاربع التي ياتي
منها العدو في الغالب هذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه
كقوله واستفزز من استطعت منهم بخيلك ورجلك فان قلت

بصوتك واجلب عليهم

كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتدا وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف
المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى
المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا وكانت
لغة توخذ ولا تقاس وانما نفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم
يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على
يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن
يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر
حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم
رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها
اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدي الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين
يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل
يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق
ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي
وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم
فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة
على مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني
فياتيني من قبل الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني
من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين
قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة
باخبار الله لهم مذءوما من ذامه اذا ذمه وقرا الزهري مذوما بالتخفيف
مثل مسول في مسئول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملان جوابه وهو
ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله
انتم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك
منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم منكم اجمعين على ان لاملان
في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا ادم وقلنا يا ادم وقرى هذي الشجرة

والاصل الياء والعائد لغيرهما ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه
وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذئب ورجل
موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس
اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة
لاجله ووسوس اليه القاها اليه جعل ذلك غرضا له ليسوأهما اذا رايا
ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة
من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول
فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل
قلت لان الثانية مدة كالف وافي وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب
الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر
الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله
وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ
من سوأتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة وقاسمهما واقسم
لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك
ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى
تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني لمن
الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او
اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها واخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه
اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور
بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن
عمر انه كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه وكان عبيده
يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله
انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها اخذين في الاكل منها وقيل
الشجرة السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما
اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الاخر

اويصل تصغير واصل

وعن عائشة ما رأيت منه ولا راى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما
من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر
ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرأ ابو السمال وطفقا
بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف
النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن
يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري
يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما
وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين
الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما
حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال لادم الم يكن لك فيما منحتك من
شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا
من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى
وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما
لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في
استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات
اهبطوا الخطاب لادم وحواء وابليس بعضكم لبعض عدو في موضع
الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع
استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء اجالكم وعن ثابت البناني
لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة وجعلت حواء تدور
حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما
توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر
من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند
وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه
قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والريش لباس الزينة

حواء

استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم [illegible] لباسا
يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال
لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا
جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى والخشية من الله وارتفاعه — ولباس الورع
على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى
هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر
واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كانه قيل ولباس التقوى
المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى
او ان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوءة لان مواراة السوءة من
التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف
اي وهو لباس التقوى ثم قال ذلك خير وفي قراءة عبد الله وأبي ولباس
التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن
والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب
عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على
عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه
الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف
الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة
من المهانة والفضيحة واشعارا بان الستر باب عظيم من ابواب التقوى
لا يفتننكم الشيطان لا يخدعنكم بان لا تدخلوا الجنة كما فتن ابويكم آدم
وحواء بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما
بان كان سببا في ان نزع عنهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته
بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن
مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤونة الا من عصم الله وقبيله
وجنوده من الشياطين فيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس
وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة

انا جعلنا [illegible] اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم
عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير
آخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على
الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرأ اليزيدي
وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطف على اسم ان وان يكون الواو
بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس
الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب اذا فعلوها اعتذروا بان
اباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما
باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني
افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما
نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا عليه السلام الى العرب
وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قوله تعالى واذا
فعلوا فاحشة قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه
لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون على الله ما لا
تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل
المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل امر ربي بالقسط بالعدل
وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل منة وقيل بالتوحيد واقيموا
وجوهكم وقيل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير
عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود وهو الصلاة وادعوه
واعبدوه مخلصين له الدين من غيرها وضعه انه خالصا كما بدأكم تعودون
كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق
والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى
وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة
وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما
بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة

اتخذوا الشياطين أولياء اي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على
ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين
دون الله خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم
او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج
وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي
عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها
وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط
وقيل الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وكان بنو
عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا
وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وحكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن
الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان
وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه
قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر
عن رسولكم شيء من الطب فقال قد جمع رسولنا علم الطب في الفاظ يسيرة
قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل
بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا
زينة الله الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من
المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء
وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها
ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين
شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا
قيل للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين
آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا

١ ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها
خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج
والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي والظلم والكبر افرده بالذكر
كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز
ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان يقولوا على الله ما لا تعلمون وان تتقولوا
عليه وتفتروا عليه الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة
بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم
وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه
في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما
مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة فان
قلت ما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعدها من الشرط والجزاء
والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء فمن اظلم
فمن اشنع ظلما ممن يتقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي
حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم
رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه
وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها
موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم
ولا ننتفع بهم اعترافا بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لمعذبون
في العاقبة قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار العرب
في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا
في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت
بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا
في النار

قالت أخراهم منزلة وهي الأتباع والسفلة لأولاهم منزلة وهي القادة والرؤس
ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا
لكل ضعف لأن كلا من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون
قرئ بالتاء والياء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول
الله تعالى للسفلة لكل ضعف أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا
متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة أو من
قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم أبواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح إليه يصعد
الكلم الطيب كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وقيل الجنة في السماء والمعنى لا
يؤذن لهم في صعود السماء ولا تطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد
أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة
ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح
بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات
وبالياء على أن الفعل لله تعالى وقرأ ابن عباس الجمّل بوزن القمّل وسعيد
بن جبير الجُمَل بوزن النُّغَر وقرئ الجُمْل بوزن القُفْل والجُمُل بوزن النُّصُب
والجَمْل بوزن الحَبْل ومعناها القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت
جملة واحدة وعن ابن عباس إن الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني
أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه إلا أن
قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك يقال أضيق من خرت
الإبرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات
الإبر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال وأحلام العصافير
إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون
ما لا يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع في ثقب الإبرة وعن
ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل وإشارة
إلى أن طلب معنى آخر تكلف وقرئ سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله
في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الإبرة وكذلك

ومثل ذلك [illegible] نجزي المجرمين ليؤذن أن الإجرام هو السبب
الموصل إلى العقاب وأن كل من أجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك
نجزي الظالمين لأن كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش أغطية وقرئ
غواشٌ بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا نكلف نفسا
إلا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما
لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو
الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح وقرأ الأعمش لا تكلف نفس
من غل من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا ننزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم
يكن بينهم إلا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون
أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا أي وفقنا لموجب الفوز العظيم
وهو الإيمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعني
وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف
أهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على أنها جملة موضحة للأولى لقد جاءت
رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا
يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا
وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله
للفرح لا للقربة ونودوا أن تلكم الجنة أن مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا
بأنه تلكم الجنة أورثتموها والضمير ضمير الشأن والحديث أو تكون بمعنى
أي لأن المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم تلكم الجنة أورثتموها بما
كنتم تعملون بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة أن قد وجدنا
يحتمل أن يكون مخففة من الثقيلة وأن يكون مفسرة كالتي سبقت آنفا
وكذلك أن لعنة الله على الظالمين وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة
بأصحاب النار وزيادة في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك
قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء
يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ

ان لعنة الله بكسر ان على اراده القول او على اجرا اذن مجرى قال فان قلت
هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا
لدلالة ما وعدنا ربنا عليه ولقايل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله
من البعث والحساب والثواب والعقاب وساير احوال القيمة لانهم كانوا
مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم
فاطلق لذلك، وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو
السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب
وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف
الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من اخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم
كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول
الجنة يعرفون كلا من زمر السعدا والاشقيا بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم
الله بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة اذ انظروا الى اصحاب الجنة
نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار وراوا ما هم
فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا
رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم اهؤلا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كانوا الرؤسا يستهينون بهم ويحتقرونهم
لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا
الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف
وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفاية ذلك
بيان ان الجزا على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا
لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب
السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا
ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجبت ان يوسم بها اهل الخير
والشر فيرتدع المسي عن سياته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان
العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم

فيه

فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ولا يزال يؤتى وقرا الاعمش
واذا قلبت ابصارهم وقرى ادخلوا الجنة على البنا للمفعول وقرا عكرمة
دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القرائتين قوله لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون
قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن حال اصحاب
الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استاخر
عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا
ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم
واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرى
تستكثرون من الكثرة افيضوا علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم
الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد والقوا علينا
مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وما باردا وانما يطلبون
ذلك مع ياسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما
على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر
كقوله حرام على عيني ان تطعم الكرى فاليوم ننساهم نفعل بهم
فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا
لقا يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم
يهتموا به فصلناه على علم كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وساير
معانيه حتى جا حكيما قيما غير ذي عوج وقرا ابن محيصن فضلناه بالضاد
المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها
وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من فوجه
الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما
نطق به من الوعد والوعيد قد جات رسل ربنا بالحق اي وتبين وصح
انهم جاوا بالحق او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها
في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعا او هل نرد ورافعه وقوعه

قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم لا انتم تحزنون

موقعاً يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل تضرب زيداً ولا يطلب له فعل آخر يعطف
عليه فلا تقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن ابي اسحق او نردَّ
بالنصب عطفاً على فيشفعوا او يكون او بمعنى حتى ان يشفعوا لنا حتى
نردَّ فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل يغشي
الليل النهار وقرئ يُغشّي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل
يحتملهما جميعاً والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليلُ النهارَ
بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهارُ الليلَ ويطلبه حثيثاً
حسن الملاءمة بقراءة حميد بانه مثبتة وتحريفه وهو متعلق مسخرات
اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك
امراً على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم
مسخراتٌ بالرفع ولما ذكر انه خلقهن بامره قال الا له الخلق والامر اي هو
الذي خلق الاشياء كلها وهو الذي صرفها على حسب ارادته تضرعاً
وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفاً وطمعاً
والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللاً وتملقاً وقرئ وخِفية
وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع
القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر الناس
به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد
ادركنا اقواماً ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون
علانية ابداً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان
الا همساً بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم وتنا على
زكريا اذ نادى ربه نداء خفياً وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون
ضعفاً انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء
وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء
مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي عليه السلام سيكون
قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب

ضعفاً

اليها

اليها من قول وعمل ... ذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه
لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحاً وانما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه
صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى
مفعول كما شبه ذلك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي
هو النقيض والضغيب ولان تأنيث الرحمة غير حقيقي وقرئ نُشُراً وهو
مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشراً
واما على الحال بمعنى منتشرات ونُشُراً جمع نشور ونُشْراً تخفيف نُشُر
كرُسُل ورُسْل وقرئ نَشَراً بمعنى منشورات فَعَل بمعنى مفعول
كنفض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبُشُراً جمع بشير وبُشْراً تخفيفه
وبَشْراً بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبُشرى بين يدي
رحمته امام نعمته وهو الغيث الذي من اجل النعم واحسنها اثراً اقلت
حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه
قليلاً سحاباً ثقالاً سحائب ثقالاً بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على
اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلاً
لبلد ميت لاجل بلد ميت ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد
او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج
الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين
اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض الحرة الكريمة
التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره
وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسناً وافياً لانه واقع في مقابلة
نكداً والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يُخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته
وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا
نكداً فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى
البلد مقامه الا انه كان مجروراً بارزاً فانقلب مرفوعاً مستكناً لوقوعه موقع

الضغيب صوت الارنب

الفاعل أي يعسر ذو نباته الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر أي ذا
نكد ونكدا بإسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل
لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن
مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله
بعقله فوعاه وانتفع به كالأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت والكافر على
ذلك وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات
به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا
بها وقرئ يصرف بالياء أي يصرفها الله لقد أرسلنا جواب قسم محذوف فإن
قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد وقل عنهم نحو قوله
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية
لا تساق إلا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع
الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل أرسل نوح وهو
ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لملك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ
اسم إدريس النبي عليه السلام وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه
قيل ما لكم إله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من إله
إلا إياه كقولك ما في الدار من أحد إلا زيدا أو غير زيد فإن قلت ما موقع
الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الأولى بيان لوجه اختصاصه
بالعبادة والثانية بيان للداعي إلى عبادته لأنه هو المحذور عقابه دون
من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم في ذهاب
عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فإن قلت لم قال
ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة أخص من الضلال
فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل
لك ألك تمر فقلت ما لي تمرة فإن قلت كيف وقع قوله ولكني رسول
استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته
ناصحا

ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء
عن الضلالة وقرئ أبلغكم بالتخفيف فإن قلت كيف موقع قوله أبلغكم
قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول
رب العالمين والثاني أن يكون صفة لرسول فإن قلت كيف جاز أن يكون
صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لأن الرسول وقع خبرا
عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال أنا الذي سمتني أمي حيدره رسالات
ربي ما أوحي إلي في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ
والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء
قبله من صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة
وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض
النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب
نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة
الله ورسله وأعلم من الله ما لا تعلمون أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته
الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل
لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي
الله إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحي إلي بها
أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل
أكذبتم وعجبتم أن جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان
رجل منكم لقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح
ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل
ملائكة لينذركم وليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي
الخشية بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى إن وجدت
منكم والذين معه قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام
وحام ويافث وستة ممن آمن به فإن قلت في الفلك بم يتعلق قلت
هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك

ويجوز أن يتعلق بفعل الإغراء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي
القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي أن العمي
يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك
أخاهم واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا
منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود
بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا وهودا
عطف بيان له فإن قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم
يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما
قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فإن قلت
لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان
في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه
فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله
وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون
وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر
دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا
أنه متمكن فيها غير منفك عنها وفي إجابة الأنبياء من نسبهم إلى الضلال
والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك
المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب
حسن وخلق عظيم وحكاية الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون
السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ناصح
أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم وأنا لكم ناصح
فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه خلفاء من بعد قوم
نوح أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها
بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا في الطول والبدانة
قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله

في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى ونحوه
إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب فإن قلت إذ في قوله إذ
جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف أي
اذكروا وقت استخلافكم أجئتنا لنعبد الله وحده أنكروا واستبعدوا
اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام
شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وإلفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به
فإن قلت ما معنى المجيء في قوله أجئتنا قلت فيه أوجه
أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول
الله عليه السلام بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا
به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم
قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن
التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب
كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك
فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب
أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك
لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن
لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني مالك قال لسعني طوير كأنه فقال
ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس
العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء
ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم
محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها
سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطعنا دابرهم استئصالهم وتدميرهم
عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت
وكانت لهم أصنام يعبدونها صدا وصمودا والهباء فبعث الله إليهم
هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا

عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس
اذا نزل بهم بلآء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم
واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح
وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا
منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم ايمانه فلما قدموا
نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم
واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر
وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم
باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم
عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر
ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد
ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم
يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم
واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم
ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية
احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود
وترك ديننا ثم دخل مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم
فانشأ الله سحابات ثلثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ماء
فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا
عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفي
الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بايات
الله قلت هو تعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا

مع هود عليهم كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل
من امن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين وقرئ والى
ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتاويل الحي او
باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن
نوح اخو جديس وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم بينة
آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي فكانه قيل ما هذه البينة فقال
هذه ناقة الله لكم اية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم
الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها اية ولكم بيان لمن هي
آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس
اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت
الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده مكونة
من غير فحل وطروقة اية من اياته كما تقول اية الله وروي ان عادا
لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا
على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا
وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه
الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال
اية اية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة
فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب
لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاجابة
فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية
الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك

فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن
قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين
جنبيها إلا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم
فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم
أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت
ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب
كل ما فيه ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون
ويدخرون قال أبو موسى الأشعري أتيت أرض ثمود فذرعت
مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة إذا وقع
الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه
وإذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره
فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت
المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها
واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة
فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح	وانفجت
تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم
الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا
أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع
الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فهلكوا تأكل في أرض الله أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها
تأكل في أرضه فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم ولا
تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الأذى
إكراما لآية الله وروي أن رسول الله حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه

لا يدخلن واحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين
إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال عليه السلام يا علي أتدري
من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من
أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية
تأكل في أرض الله وهو موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم ونزلكم والمباءة
المنزل في الأرض في أرض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا أي تبنونها
من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ الحسن
وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى
أسيل جسرة فإن قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما
تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال
المقدرة لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة
قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في
الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء
الكفار واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فإن
قلت الضمير في منهم راجع إلى ماذا قلت إلى قومه أو إلى
الذين استضعفوا فإن قلت هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف
المعنى قلت نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن
مفسرا لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على
المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا
عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين أتعلمون أن صالحا
مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة
أتعلمون أن الله فوق العرش فإن قلت كيف صح قولهم إنا بما أرسل به
مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله
أمرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بإرساله
وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام

وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذي
آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون
معلوما وأخذوه مسلما فعقروا الناقة أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان
برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما
فعله إلا واحد منهم وعتوا عن أمر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله
عاتين وأمر ربهم ما أمر على لسان صالح عم من قوله فذروها تأكل في أرض
الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم
كأن أمر ربهم بتركها هو السبب في عتوهم ونحو من هذا ما في قوله وما فعلته عن أمري ائتنا
بما تعدنا أرادوا من العذاب وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلوما واستعجالهم
له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة
الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم أو في
مساكنهم جاثمين خامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم أي قعود لا
حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط
وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن رسول الله لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات
الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل واحد
كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما
أصاب قومه وروي أن صالحا كان بعثه إلى قومه فخالف أمره وروي
أنه مر بقبر أبي رغال وأنه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا
عنه فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر أنه كان مشاهدا
لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعد ما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر
على ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي
ولم آل جهدا في إبلاغكم والنصيحة لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم حين رأى العلامات
قبل نزول العذاب وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم
العذاب يوم السبت وروي أنه خرج في مائة وعشرين من المسلمين

وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا
وخمسمائة دار وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فإن قلت
كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول
الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه
في التهلكة يا أخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين
حكاية حال ماضية ولوطا وأرسلنا لوطا وإذ ظرف لأرسلنا أو واذكر
لوطا وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة
المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته
بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عم سبقك بها عكاشة من أحد من
العالمين من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية
للتبعيض فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة
أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من
عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم
بها من أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به إنكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون
الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للإنكار والتعظيم وقرئ إنكم على الإخبار
المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها شهوة مفعول له
أي لاشتهائكم لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم
أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب
النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى
السماجة بل أنتم قوم مسرفون إضراب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال
التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم
قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب
قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم
عادون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما
كلمهم به لوط عم من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف

لذي هو اصل الشرك كله ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا تعلق له بكلامه ونصيحته
من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه
من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من
الفواحش وافتخارا انهم بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من
الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا
من هذا المتزهد واهله ومن يختص به من ذويه من المؤمنين من الغابرين
من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت
فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة
آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر
عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر
اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت
اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور
وفي نوابغ الكلم حرى غير ممطور حرى ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم
اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال
امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من
السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا
عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين
كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس
للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي
اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا
ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه
كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لابد لمدعي النبوة من
معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان

معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب
عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة
الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع
عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها
كانت قبل ان يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب عليه السلام فان
قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في
سورة هود عليه السلام قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي
ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن
الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال
بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها
حمقاء وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم
وكانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروي
انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف
فقطعوها قطعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا بعد
اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعدما اصلح فيها الصالحون
من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل
والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف
المضاف ذلك اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد
في الارض او الى العمل بما امرتهم به ونهيتهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية
وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب
في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والتسوية ان كنتم مؤمنين لكم مصدقين
لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج
الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل
الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين

وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت صراط الحق واحد
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب
الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع
في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في آمن به
قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه
فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة
على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون
لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش
بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا
وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة
غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم
وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا
اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا
عددكم فكثركم الله ووفر عددكم وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت
لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز
اذ كنتم مقلين فقرا فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة فكثركم
العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم
نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا
فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين
على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله
فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال
ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز
ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون على اذى الكافرين
وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث

من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف
اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم او عودكم في الكفر فان قلت
كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في
ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغاير الا ما
ليس فيه تنفير فضلا عن الكباير فضلا عن الكفر قلت لما قالوا
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين
دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على
الواحد فجعلوهم عايدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى
ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان
كان بريا من ذلك اجراء للكلام على حكم التغليب فان قلت
فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا والله
تعالى متعال ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه
الا ان يشاء خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا
وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع
ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم احوال
عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض
بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا
على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء
الله حسما لطمعهم في العود لان مشية الله لعودهم في الكفر محال خارج
من الحكمة او لو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال
تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما
يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا

تبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعهم فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الاسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى

وتواضعهم من ثواب فكيف ايسى بكسر الهمزة الاخذ بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني ابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم ننتقل بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان اخذهم الله بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجأة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان تكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين بياتا يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتيته ضحى وضحيا وضحاء والاضحية الاصل انهم

[illegible]

لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في افأمن واوأمن
حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه
ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله
فأخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا
بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا
فأخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا
ان يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون
بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله
افأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله
استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل
ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين
والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس
ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله
ان يأتيهم بأسنا بياتا اذا قرئ اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا
بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم
ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا
قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل اولم نهد الله للوارثين هذا الشأن
بمعنى اولم نبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم
وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت
بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا
على ما دل عليه معنى اولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع
على قلوبهم او على يرثون الارض او ان يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع
على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا
كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه

المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف
الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة
وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله
هذا بعلي شيخا في انه مبتدأ وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك
ونقص خبرا وان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر فان قلت
ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن
بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل
الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى نقص عليك من انبائها
قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها
ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات
بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم
بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء
الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم
وعنادهم مع تكرر المواعظ وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي
وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على
قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق اي
وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه
في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشأن والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين
خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم
المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا
لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا
الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك
وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا
يسوغ ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما من نعتهم الضمير

للرسالة في قوله ولقد جاءتهم رسلنا او للآيات فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم
مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها
اذ عدوهم وصدوهم عنها واذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها
فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي فكفروا
بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر الفراعنة
كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل
الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع
قراءات المشهورة وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول
على الله الا الحق وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة
اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما تقلب من الكلام لامن الالباس
كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه تشقى الضياطرة
بالرماح وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمته
فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث
ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب
والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه
بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال
اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب
علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل
معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي
وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط
غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي
دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام فان قلت
كيف قال له فأت بها بعد قوله ان كنت جئت باية قلت معناه
ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فأتني بها واحضرها عندي
لتصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك انه ثعبان

وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا
وضع لحييه الاسفل في الارض ولحييه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو
فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث
قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة
وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا
موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا
فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا
هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا
خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك
لما روي انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه
مدرعة صوف ونزعها واذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها
شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام ادم شديد الادمة ان هذا لساحر عليم
اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى
خيل اليهم العصا حية والادم ابيض فان قلت قد عزي هذا
الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملا وعزي ههنا اليهم
قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا او قاله ابتداء
فتلقفه منه الملا فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ
كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الراي فيكلم به من يليه من الخاصة
ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه
وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ بكل سحار اي يأتوك
بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع
القبط وقوله فماذا تأمرون من امرته فأمرني بكذا اذا شاورته فاشار
عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا
له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل فقال فماذا تأمرون قالوا ارجه
واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما

وتدبير امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمز وارجه من ارجأه
وارجاه فان قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت
هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا
لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار
واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان
قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف
على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا
نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان
لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان الثواب انما يتهنى
به ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال
لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة
ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض
الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا
وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل
ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون
لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه
معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في
الجدال والمتصارعين قبل ان يتآخذوا في الصراع وقولهم واما ان نكون
نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى
ما تراغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة وثقة بما كان بصدده من
التاييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس
اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا

وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا
واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم
بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها
ما يوهم بالحركة قيل جعلوا فيها الزئبق ما يافكون ما موصولة او مصدرية
يعني ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية
للمافوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال
ورفعها موسى رجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام
العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت
حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم
اي فاثر فيها من قولهم قاس وقيع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء
مبهوتين والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم
وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا
سحرة وفي اخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا
بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشؤا في الكفر بذلوا
انفسهم لله آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا
لهم وتقريعا وقرئ ءآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار
والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها
انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك
لغرض لكم وهو ان تخرجوا القبط منها وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام
من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان
موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا
يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال
فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن
بالتخفيف وكذلك لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل اول
من قطع من خلاف وصلب فرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا

نا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك
او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب
او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا بالحق
او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد
لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله ارادوا
ما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه
قوله   ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم   افرغ علينا صبرا اى هب لنا صبرا
واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما تفرغ الماء افراغا
وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك
اى يرمى بالحياء وما يخجل او يصب علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام وهى
الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا
كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على
يفسدوا الا انه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا
والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو
كما يجاب بالفاء عوض قول الحطيئة   الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة
والاخاء   والنصب بانهما ان يقدر بمعنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه
اياك والهتك وقرى ويذرك الهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره
ويذرك اى اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو
يذرك والهتك وقرى بالسكون ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرى
واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرا انس رضى الله عنه ونذرك بالنون
والنصب اى يصرفنا عن عبادتك فتذرها وقرى ويذرك والاهتك
اى عبادتك وروى انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان
ستمائة الف نفر فارادوا بالفساد فى الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا
على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا
الى الله كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى

ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم نعيد عليهم ما كنا محناهم
به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون
تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها فى ملكنا واستيلائنا
ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذى حدث المنجمون والكهنة
بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه
وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين
قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا ليسكنهم ويسليهم
ويعدهم النصر عليهم ويذكرهم ما وعد الله بنى اسرائيل من اهلاك القبط
وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن
الواو وادخلت على التى قبلها قلت هى جملة مبتداة مستانفة
واما وقال الملا فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون
ويصلح الارض فيه وعد ان يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله
مطلب   واورثنا الارض وان يكون للجنس ويتناول ارض مصر لانها من جنس الارض
كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان يتناوله
تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين
من القبط وان المشية تتناولهم وقرا العاقبة للمتقين بالنصب ابى
وابن مسعود عطفا على الارض اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا
يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم
بعد ذلك وما كانوا يستعبدونهم ويمتهنونهم فيه من انواع الخدم والمهن
ويمسونهم من العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة
قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى الارض تصريح
بما رمز اليه من البشارة يعنى مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من
العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب
ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى
مائدته رغيف او رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرا عمرو هذه الاية

ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكره ذلك فقال قد بقي فينظر كيف تعملون
بالسنين بسني القحط والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو
ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن
عباس أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم وأما نقص الثمرات
فكان في أمصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة لعلهم
يذكرون فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن
الناس في حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة وقيل
عاش فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه
في تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية فإذا جاءتهم الحسنة
من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه أي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها
ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وإن
تصبهم سيئة من ضيق وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا
ويقولوا لولا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول
الله عليه السلام هذه من عندك فإن قلت كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة بإذا
وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة قلت لأن جنس
الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا في
الندرة ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء
فهلا عددت أيام الرخاء طائرهم عند الله أي سبب خيرهم وشرهم عند الله
وهو حكمه ومشيئته وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل
كل من عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم عند الله
وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لأجله ويعاقبون له
بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر
أشأم منهما من هذا وقرأ الحسن إنما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر
غير تكسير ونظيره التجر والركب عند أبي الحسن وهو تكسير عند سيبويه مهما هي ما المضمنة
معنى الجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج

أخرج أينما تكونوا يدرككم الموت إلا أن الألف قلبت هاء
استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن
الناس من زعم أن مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء
كأنه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فإن
قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى أيما شيء تأتنا به أو النصب
بمعنى أيما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها
راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى
لأنه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها
تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد
له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول
مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء
ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله
وهو لا يشعر فهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه
فإن قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها
آية لاعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا
بذلك الاستهزاء والثاني الطوفان ما طاف بهم وعليهم من مطر أو سيل قيل طفى
الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون
شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء
حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت
بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم من جلس غرق ولم يدخل بيوت
بني إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء
والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن أبي قلابة الطوفان الجدري
وهو أول عذاب وقع فيهم فبقي في الأرض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما
آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فأقاموا

شهرا ثم بعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء
من الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء
ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام فخرج موسى
الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي
جاءت منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل
وهو الحنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد
قبل ان يطير وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما
فيمتلي قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا يسيرا
وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار
قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم
جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم
فقالوا قد تحققنا انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم
بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم فامتلات منها آنيتهم واطعمتهم فلا
يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع
وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلي منها
مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي
تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما
بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا
فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم
دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم وكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على
اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان
من جرة واحدة فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية
تقول للجارية الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فمي فيصير الماء
في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار
الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها العذب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب

سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى مكث
فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم
اليد والعصا ونقص الثمرات والسنين قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في
الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية
فبعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما عدد من النقم وقرا الحسن والقمل
بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على
الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها آيات
الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين
بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا
من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده
عندك وهو النبوة والباء اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما
اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته
بالنبوة او ادع لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما
مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون
فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون
جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن
لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
في اليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه
من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اي كان
اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها
القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون
وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية التي باركنا فيها
بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين

في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى
تمت على بني اسرائيل مضت عليهم او استمرت من قولكم تم على الامر اذا مضى
عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان
من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر
ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله
وتلا الاية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي
الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من ايات ربه
الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات
وبنا القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشا جنات معروشات
او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السما كصرح هامان وغيره
وقرى يعرشون بالضم والكسر وذكر ابن زيد ان الكسر افصح وبلغني
انه قرا بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا
منه وهذا اخر ما اقتص الله من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم بايات
الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوا بعد
انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الايات العظام ومجاوزتهم
البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر
والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصف ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه
الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله مما راى من بني اسرائيل
بالمدينة وروي انه عبر بهم يوم عاشورا بعدما اهلك الله فرعون وقومه
فصاموه شكرا لله فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على
عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول
شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر
موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه
وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون
بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما يعكف عليه كما لهم الهة اصنام

يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه
ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل
لنا الها ولم تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما
راوا من الاية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه
لا جهل اعظم مما راى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر
ما هم فيه يتبر يكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا
ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه
على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون
اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان
كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها
وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه
لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا اغير الله ابغيكم
الها اغير الله المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم بما فعل دون
غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا
تشركوا به غيره ومعنى الهمزة للانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين
في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب
من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت
هو استيناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من ال فرعون وذلك
اشارة الى النجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف
وروي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم
بكتاب من عند الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى
ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر
خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته
بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من

ريح المسك فأمره الله أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمره الله
بأن يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في
العشر وكلمه الله فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها
هاهنا وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له وأربعين ليلة
نصب على الحال أي تم بالغا هذا العدد وهارون عطف بيان لأخيه وقرئ
بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح وكن مصلحا أو وأصلح
ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه
ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص
فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه
ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض
الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي أن موسى كان يسمع ذلك الكلام
من كل جهة وعن ابن عباس كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة وكتب له الألواح
وقيل إنما كلمه في أول الأربعين أرني أنظر إليك ثاني مفعولي أرني محذوف أي
أرني نفسك أنظر إليك فإن قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني أنظر
إليك قلت معنى أرني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي
فأنظر إليك وأراك فإن قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي
لقوله أنظر إليك قلت لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية
التي هي الإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل
لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي فإن قلت كيف طلب موسى ذلك وهو من أعلم
الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي
إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض
فمحال أن يكون في جهة ومنع المجبرة إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول
مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين
قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء
فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلب الرؤية

إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر
وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا
وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فأراد أن يسمعوا
النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح
عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك فإن قلت فهلا
قال أرهم ينظروا إليك قلت لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون
فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يري موسى ذاته فيبصروه معه كما
أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى
أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه
وزلفته عند الله وقيل له لن يكون كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول
إمام أمته فكان ما خاطب به أو ما خوطب راجعا إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه
من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم
وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا إليه مقابلا بحاسة
النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام
وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فإن قلت ما معنى لن قلت
تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فإذا
أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن
تراني تأكيد وبيان لأن المنفي مناف لصفاته فإن قلت كيف اتصل
الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله قلت اتصل به
على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر
إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف
أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك
من عظم أثره كأنه تعالى حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد
إليه في قوله وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا فإن استقر مكانه كما كان

مستقراً ثابتاً ذاهباً في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود
ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكاً ويسويه بالارض
وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع
الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد
بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله
فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره
وتصدى له امره وارادته جعله دكاً اي مدكوكاً مصدر بمعنى مفعول
كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء
والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضاً دكاء مستوية
ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن
خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرا يحيى بن وثاب دكاً اي
قطعاً دكاً جمع دكاء وخر موسى صعقاً من هول ما راى وصعق من باب
فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة
من صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشياً عليه غشية كالموت
وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم
ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من
صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك
من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من
الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم
تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح
على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه
الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكاً وكيف اصعقهم ولم يخل
كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئاً
الله وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب
من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة

مطلب

بلغ

مذهباً ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول
ما قاله بعض العدلية فيهم
لجماعة سموا هواهم سنة
وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا
شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله
ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً كانها اراءة في
جلائها باية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر
اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما في الحديث سترون
ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في
الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني اي لن تطيق
معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن
انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت
لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما
تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكاً
وخر موسى صعقاً لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما
اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئاً
لا يقوم لبطشك وباسك اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك
وآثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي اياك
فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين
على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقاً يوم عرفة
واعطي التوراة في يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك على
الناس وكان هرون مصطفى مثله نبياً قلت اجل ولكنه كان تابعاً
له وردءاً ووزيراً والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة ذكر
ان عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل
سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد
خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها

وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السما فيها التوراة
وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول
كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان
بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت
التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها
الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في
الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل
ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا
تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا
على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما اتيتك والضمير في فخذها
للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشيا او للرسالات او للتوراة
ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل باخذوا باحسنها
اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر
فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب
كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل ياخذوا بما هو واجب وندب لانه احسن
من المباح ويجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك
الصيف احر من الشتا ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون
وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا
تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود
والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل
دار الفاسقين نار جهنم وقرا الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز
يقال اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان
المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرى ساورثكم وهي قراة حسنة
يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف
عن اياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها

ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل
عياض ذكر لنا عن رسول الله اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة
الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت
بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون
ان يبطل اية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس
الباطل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها
سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات
لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه
وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده
وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم
وان يروا كل اية من الايات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرا مالك بن دينار
وان يروا بضم اليا وقرى سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم
السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان راى طريقا مستقيما
اعرض عنه وتركه وان راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل
نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه ولقاء الاخرة يجوز
ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ومشاهدتهم احوالها ومن
اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الاخرة من بعده من بعد
فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو
السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا
منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقايل
والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه
والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقرى من حليهم بضم الحاء
والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع
كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة

فان قلت لم قال ظلمتم ولم يكن الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم قلت
الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم
قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله تعالى فاخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا
بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان
السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه
في فم العجل فكان عجلا له خوار وقرا علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمز
من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين
اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه
على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي
هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما
انزل في كتبه ثم ابتدا فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر
وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم
ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على
عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما
فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم
وهو من باب الكناية وقرا ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل
اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في
قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في
اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين
وراوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ
لئن لم تغفر لنا وترحمنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام
التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا الاسف
الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين بئسما خلفتموني
قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل

من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل
عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان
عبادة الله وحيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما تقتضيه
بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص
المخصوص
بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت
اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد
ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت
احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر
حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا سيرة المستخلف
من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين
بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن
معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو
انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ
آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم
وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان
موسى لن يرجع وقد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها
اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش
وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في
نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب
الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى
الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع
تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه
يجره اليه بذوابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه
وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف ابن ام قرئ بالفتح تشبيها
بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الميم

والمه وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى
انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب
ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف
والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني اي اني لم آل جهدا في
كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى
قهروني واستضعفوني ولم يبق الا ان يقتلوني فلا تشمت بي الاعدا فلا تفعل
بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعدا
على نهي الاعدا عن الشماتة والمراد لا تحل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع أنّ
القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا
اي ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر
اليه اخوه وذكر شماتة الاعدا قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر
لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط
منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا
عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والاخرة غضب من ربهم وذلة هو
الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة اخراجهم من ديارهم لان ذل الغربة
مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله
بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله
ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق
في الحيوة الدنيا بالذلة ويراد سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا
كما ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله والذين عملوا السيات
من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا
اليه آمنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها لغفور رحيم من بعد
تلك العظائم لغفور لستور عليهم محا لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة
وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا
ثم اردفها بعظم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وان عظمت فان عفوه وكرمه

اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه
طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب
هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا
والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغرا
ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح
الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة
ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة
وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت اي اسكته الله
او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح
التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى
مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر
[illegible] عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك
واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله
منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل
سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي
انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان
عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين
ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان
يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات
ربه وكان امره ربه ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنى موسى
من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى
ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا
سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم
انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر
عليهم

فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال رب أرني أنظر إليك يريد
أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن تراني ورجف بهم
الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت أهلكتهم
من قبل وإياي وهذا تمنّ منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة
طلب الرؤية كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة لو شاء الله
لأهلكني قبل هذا أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني أتهلكنا جميعا
يعني نفسه وإياهم لأنه إنما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها
جهلا إن هي إلا فتنتك أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك
فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في
معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالا
من الله وهدى منه لأن محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا
فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام أنت ولينا مولانا القائم
بأمورنا واكتب لنا وأثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية
وحياة طيبة أو توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا
إليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب
ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد كأنك هدهد وقرأ أبو
وجزة السعدي هِدنا إليك بكسر الهاء من هاده يهيده إذا حركه
وأماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا
إليك أنفسنا وأملناها أو حُركنا إليك وأُملنا على تقدير فُعلنا
كقولك عِدت يا مريض بكسر العين فُعلت من العيادة ويجوز عدت
بالإشمام وعُدت بإخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول
القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هُدنا إليك بالضم فُعلنا من هاده
يهيده قال عذابي من حاله وصفته أصيب به من أشاء أي من وجب
عليه في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وأما

وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر
ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من أساء من الإساءة
فسأكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون
في آخر الزمان من أمة محمد عليه السلام الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون
لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي يوحى إليه كتابا مختصا
به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجد نعته أولئك
الذين يتبعونه من بني إسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ويحل
لهم الطيبات ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها
أو ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه
من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة
ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة
وغيرهما من المكاسب الخبيثة الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه
عن الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس
في صحة توبتهم وكذلك الأغلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة
نحو بتّ القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع
الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق
الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا
قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل
ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه
على العبادة وقرأ عامر آصارهم على الجمع وعزروه وعظموه حتى لا يقوى
عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير
للضرب دون الحد لأنه منع من معاودة القبيح ألا ترى إلى تسمية الحد والحد
هو المنع والنور القرآن فإن قلت ما معنى قوله أنزل معه وإنما أنزل
مع جبريل قلت معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوبا
بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يتعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن

المنزل مع اتباع النبي صلى الله عليه والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا
القران كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا
الجواب على قول موسى ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل
اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله
وعلى كفرهم بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك
في قوله والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استلطافا لهم وترغيبا في اخلاص
الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم
في رحمة الله التي وسعت كل شيء اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل
رسول الى قومه خاصة وبعث محمد الى كافة الانس وكافة الجن جميعا نصب
على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت
الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح
ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف
اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات
وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم
كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية
لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من
تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القران
او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى ابن مريم وقيل هي الكلمة
التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل عيسى كلمة الله
وخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى
لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فامنوا
بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم
الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات
من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص
المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او

غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم
المؤمنون الثابتون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم
من الذين ارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة
رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق
ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم
لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وامن به
من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا
اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا
الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا
فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هناك حنفاء
مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي عليه السلام ان جبريل ذهب
له ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا
فقال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك احمد منكم فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام
السلام ثم اقرأهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة
غير الصلاة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم
ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله
فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل
وهل تزيدون صلحا ثم قرأ عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدلون وقيل كانوا في
طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين
وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد الى كل
افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل
ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ
به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم
وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة فيهم

وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة
قبيلة والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة
من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب فان قلت مميز ما عدا
العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا
قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي
عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع
قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى
وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد
وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ
اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانبعثت والمعنى واحد وهو الانفتاح
بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا فان قلت
هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالتباس وليجعل
مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف
عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح
به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم
الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وتناء وتؤام واخوات
لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت
في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلة
عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم
النعم ولكن يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم والقرية
واذكروا اذ قيل لهم
بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة عنها ها هنا وفي
سورة البقرة قلت لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض
ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله فكلوا
لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في
الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب

او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته
وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة
وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على قول القائل وماذا بعد
الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان
وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ تغفر لكم
خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول واسألهم واسأل اليهود
وقرئ وسلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم
وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب
او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره
همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدتم في السبت والقرية
ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن
العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل
المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت
اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه
وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها
الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم
السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال
بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم
معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون
وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء
وقراءة علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن
الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت
ولا يؤمرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما
محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد

بالقرية اهلها كانه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو
بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب
بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما
تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء
وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا
فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته
فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم
جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في
موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم
تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا
شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم
قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب
في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا
بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او
اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم
به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون
من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق
الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ
والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم
الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما
وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين
القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم
عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الآخرون

فانهم لم يعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين
ولم يخبروهم كما اخبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله
رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا
قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن
ابن عباس رضي الله عنه ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما
قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم
وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن
الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان
اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت
فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان
تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها
ثم لا تاتيهم في غيره فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس
فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون
الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم
الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل
ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى
الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا
ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من
سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر
الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال
المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين
باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج
من المعتدين احد فقالوا ان للناس لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة
ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسابها من الانس والانس
لا يعرفون انسابهم من القرود فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي

يقول الم انهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير
وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها
عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند
الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر
بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ
بئس على وزن حذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء
كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس
على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بئس ياء
وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس
على وزن فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه
كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مشيته
كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى
اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا
لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس المسخ تاذن ربك عزم ربك وهو
تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها
بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب
بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على
نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا
يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا فضربها عليهم
فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن
عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد وقطعناهم
في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم
الصالحون الذين امنوا بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك
ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة
فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف

محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام
معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فيتوبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم
الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم
بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم
ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى
يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما
من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها
والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل
على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا والفاعل
سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي
هو مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي
يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران
الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة
ودرسوا ما فيه ما في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي
عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار
رحمه الله ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا
لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء
من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية والدار الاخرة خير
من تلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ
وورثوا الكتاب والا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا وافلا
تعقلون بالياء والتاء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا
الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق
الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة

روح عن ميثاق الكتاب افترا على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق
الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا
ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا
على الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت
على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا
ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتدا
وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين
في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا
نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون
ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد وينصره
قراة ابي والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل
على كل عبادة ومنها اقامة الصلاة فكيف افردت قلت
لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان
مشهود والدين يمسكوا بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه
ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقا اذا نفضه
ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ
بالطا من اطل عليه اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم
وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوريه لغلظها وثقلها فرفع الله الطور
على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما
فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا
على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه
فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة
التي رفعت عنا بها العذاب ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله
لم يبق جبل ولا حجر ولا شجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرا
عليه التوريه الا اهتز وانفض لها راسه خذوا ما آتيناكم على ارادة القول

اي وقلنا خذوا ما آتيناكم اي قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم
على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه
واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد
خذوا ما آتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من
الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرى
وتذكروا واذكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل من بني آدم
بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم
نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب
التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته
وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة
والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم
وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب
التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله تعالى
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن
الحق قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير وقوله
للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على
صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه
عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من
بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم
معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتدا
بالآبا كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان
قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عني بني آدم اسلاف
اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين

الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على انها
في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل
على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي
على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت امة منهم
واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة واتل عليهم نبأ الذي
آتيناه آياتنا اهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم
الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ
نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها
ودعى ذريتهم على التوحيد وان يقولوا بالبار واتل عليهم على اليهود نبأ
الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل هو
الكنعاني اسمه بلعم بن باعورا اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها
من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه
الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ
فاتبعه بمعنى تبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي
ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على
من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه
بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه
اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة فان
قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع
قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها
وذلك لان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد
ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى
قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو
فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام
على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل

الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله
واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج
وطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث
الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا
وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض
فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه
ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن
عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل وقيل معناه
ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان
تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب
على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا
على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب
ذلك مثل الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله
في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه
وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص اي قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم
لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا
شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد
الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم
وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا
على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله
وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم
بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم
لم تتعدها الى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ فاولئك هم الخاسرون حمل
على المعنى كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف
لهم وجعلهم انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى

أي ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر
كأنهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم
لإغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار
مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنه فيما يؤهلهم
لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشام
اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن
كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لذلك والمراد وصف حال اليهود
في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله مع علمهم انه النبي الموعود وانهم
من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار أولئك
كالأنعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل
من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون الكاملون في
الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره
وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء الحسنى التي هي
أحسن الأسماء لأنها تدل على معاني حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك
فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا
تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى
وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون في دعائهم يا أبا
المكارم يا أبيض الوجه يا سخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى
نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله
أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويحتمل أن يراد ولله
الأوصاف الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه
الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه في أوصافه فيصفونه
بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدل على التشبيه كالرؤية
ونحوها وقيل الحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم
اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر كثيرا

من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق
وعن النبي عليه السلام أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها
ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه عليه السلام إن من أمتي قوما على الحق
حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء
والدعاة إلى الدين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد
أو الاستنزال درجة بعد درجة ومنه قول الأعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة
ورقيت أسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني عنكم (أي تكرهه)
غير مفحم ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه (عنكم)
شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في أثر بعض ومعنى سنستدرجهم
سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون
ما يراد بهم وذلك أن تواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم
نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فتدرجوا في المعاصي بسبب ترادف
النعم ظانين أن تواتر النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هو خذلان منه وتبعيد
فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو
داخل في حكم السين إن كيدي متين إنما سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث
انه في ظاهره إحسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم من جنة محمد عليه السلام من جنة
من جنون روي أنهم كانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي عليه السلام علا الصفا
فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون
بات يهوت إلى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض (أي يصوت)
فيما تدل عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء
وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط
بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة والأصل أنه عسى على أن الضمير
ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد
اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعون إلى النظر وطلب الحق وما
ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب ويحتمل أن يراد باقتراب الأجل

اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فان قلت بم تعلق
قوله فباي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن
قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه
يريدون ان يؤمنوا ونذرهم ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف
ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل
الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك عن الساعة ان قوما من اليهود قالوا يا محمد
اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم
مع علمهم ان الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء
الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة
حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات
عند الخلق ايان يعني متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه
اي وقت واي فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله
ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرأ السلمي ايان بكسر
الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء
ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى السفينة والمرسى
الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض
والمعنى متى يرسيها الله انما علمها اي علم وقت ارسائها عند ربي قد استأثر به
لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك
ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت
الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف
خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها
قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت
في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شأن الساعة
ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها

لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها ولان كل شيء لا يطيقها
ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم الا بغتة فجأة على غفلة منكم وعن النبي
عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته
والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك حفي
عنها اي عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في
المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب
معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله واحفى
في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت
عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها اي عالم بها بليغ في
العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كأنك حفي اي عالم
بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة
يسألونك عنها كأنك حفي تحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة
وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك
لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل
كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانها
من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت
لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة
قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلو المكرر
من فائدة زادها منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك قل هو اظهار للعبودية والانتفاء
عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب
نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع
عني ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار
الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء
منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات

ونفعيا وغطا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني
ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالبشير والنذير جميعا لان
النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق
بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة
وهي نفس ادم وجعل منها زوجها وهي حوا خلقها من جسد ادم من ضلع من
اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها
ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت
بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة
نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما انث في قوله واحدة منها
زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم وكان الذكر هو الذي
يسكن الى الانثى ويتغشاها وكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي
كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها (عليها ص)
ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله (تستثقله ص)
كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه على كبدي حين (حين ص)
حملته فمرت به فمضت الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وحملت
حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرا ابن عباس
فاستمرت به وقرا يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرا غيره فمارت من
المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت
به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقوله اقربت ودنت اثقلت على البناء
للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا ادم وحوا ربهما ومالك امرهما
الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا
ولدا سويا قد صلح بدنه وبري وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح
والجودة والضمير في اتيتنا ولنكونن لهما ولكل من تناسل من ذريتهما فلما آتاهما
ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما اتاهما اي اتى اولادهما

وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وادم وحوا بريان
من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد
مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم
ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل
قصي الا ترى الى قوله في قصتهما فعبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم
به من فخار لا يباري وسؤدد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل
من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح
السوي جعلا له شركا فيما اتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف
وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما
الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا
اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد اجريت الاصنام مجرى (اولي العلم ص)
في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها الهة والمعنى
ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم (ايشركون ص)
او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم (اولا ص)
اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون
عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم
وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد
والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا
يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون عن دعائهم
في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية
موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون
اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين
عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه
من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم

[illegible]

آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى
امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل
بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل
عبادا امثالكم مملوكون امثالكم وقرا سعيد ابن جبير ان الذين تدعون من
دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين
تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل
ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون في جميعا انتم وشركاؤكم
فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد
خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي
اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان
ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم وتراهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين
اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه
وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك
من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم
ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا
قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة فلما
نزلت امر باخذها طوعا او كرها وامر بالعرف المعروف والجميل
من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم
واحلم عنهم واغض عما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سال جبريل فقال
لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق
وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها من هذه الآية واما ينزغنك من الشيطان

عادته ان م
الناظرين م
ينظر اليه م

نزغ واما ينزغنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ
بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس
حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي
انها لما نزلت قال رسول الله كيف يا رب والغضب فنزلت واما ينزغنك
ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر ان لي شيطانا
يعتريني طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف
طيفا قال انى الم بك الخيال يطيف وهو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف
كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا
تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان
وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم اذى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته
تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم
يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين
يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم
من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن
اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله
قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها في ان الخبر جار على غير من هو له ويجوز ان
يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون
الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا
فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت
المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبيت الشيء بمعنى جباه
لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك
جليت اليه العروس فاجتلاها والمعنى لولا اجتبيتها هلا اختلقتها
انتقالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا
اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمقترح
للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج

ولم يتبعوه م
يمدونهم م
من م

يقينه تعود المؤمنون بها نصرا بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب وإذا قرئ
القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات
وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت
ثم صار سنة في غير الصلاة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه
القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل
معناه فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك عام
في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا
وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر فان الاخفاء
ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين
الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات
وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق
للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ان الذين
عند ربك يعني الملائكة ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله
لتوفرهم على طاعة الله وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويخصونه بالعبادة
لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله
من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

من القصر وهو العشي يقال اتيته قصرا اي عشيا

الذين ص
وتفضيله ص
بالعبادة ص

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل
والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول
الامام تحريضا على القتال من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما اصبتم
فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعده
وعند الشافعي في اصح قوليه لا يلزم وقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر
في قسمتها فسالوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام
للانصار ام لهم جميعا فقيل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم

على البلاد في

نقل

فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم
ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر
الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال
الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون
اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله المغنم قليل والناس كثير وان تعط
هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي
عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت
به الى رسول الله فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف
فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من
قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله وقد انزلت
سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني وليس لي وانه قد صار لي فاذهب
فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا
في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه
بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح
ذات البين وقرأ ابن محيصن يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسالونك الانفال اي يسالك
الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قيل ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول
في قوله قل الانفال لله والرسول قيل معناه ان حكمها مختص بالله
ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امره فيها
وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله
وامر به الرسول امر الله فيها رسوله لرؤوس المقاتلة المشروط لهم التنفيل
الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا
بما شرط لهم فانهم ان فعلوا ذلك لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من
التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين
متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم

فخذه م
في م

متآخين

وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم فقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد
اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله
ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال
الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال
ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون
ما في الاناء من الشراب فقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله
من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها
ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون
اشارة اليهم اي انما الكاملوا الايمان الذين صفتهم كيت وكيت والدليل
عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء
الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى
الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما وتهيبا
وعن سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثو
وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع
وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وجل وفرق وفي قراءة عبد الله فرقت
زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى
للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا
وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل
الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير الله لا يخشون ولا
يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين
اعمال الجوارح من الصلاة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك
هم المؤمنون ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون

جلاله م

في قوله م

كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت
فقال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن
وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا
وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة
فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب
المؤمنين فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان
وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني
في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت
به في قوله اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة
وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة
سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان
هما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه
الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل
حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر
الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول
وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون
من بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه
فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اخراجا ملتبسا
بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في
موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام
فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله عليه السلام فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر
خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب

على م

احدهما م

ودونكم عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات اخت العباس
ابن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا
نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة
الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما رضي
رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة
وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت
في طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون
ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر
فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه
فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة
ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما
فاستشار النبي عليه السلام اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا
على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب
من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت
على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فقام عند غضب النبي ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن
عبادة فقال انظر امرك فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف رجل من الانصار
ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث احببت
لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين
منا تطرف فضحك رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار
لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا
فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا
وكان النبي يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو
دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله

قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما
اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند
الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله ففرح رسول الله ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله
وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى
مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير
ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي لم قال
لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم
لقوله وان فريقا من المؤمنين الحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي
النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم
ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتا هب
وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يساق بهم
الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت
المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم
لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان المقداد بن
ماضيا واذكروا انها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير
وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت
في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك
ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح اي تتمنون
ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون
الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة
ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم
وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه

دابر الطايفه وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفايده
العاجله وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم والله
تعالى يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمه
والفوز في الدارين وشتان ما بين الدارين ولذلك اختار لكم الطايفه ذات
الشوكه وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم
وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد فان
قلت ــــ بم تعلق قوله ليحق الحق قلت ــــ بمحذوف تقديره ليحق
الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره
وابطال الكفر ومحقه فان قلت ــــ اليس هذا تكريرا قلت ــــ لا
لان المعنيين متباينان وذلك لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه
فيما فعل من اختيار ذات الشوكه على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانما
ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر
المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه
وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت ــــ بم يتعلق اذ تستغيثون قلت ــــ
هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم
انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا
على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله نظر الى
المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمايه فاستقبل القبله ومد يديه
يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه الطايفه لا تعبد في الارض
فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه
من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان
الاستجابه من القول فان قلت ــــ هل قاتلت الملايكه يوم بدر
قلت ــــ اختلف فيه فقيل نزل جبرئيل في خمسمايه ملك على الميمنه
وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمايه على الميسره وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال

عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم
بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من
اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا فقال من الملايكه
فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد
في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك
قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله فقال
صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين
لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا
وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المومنين والا فملك واحد كاف
في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مداين قوم
لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر
الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض
الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته اذا جئت بعده
فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى
متبعين فلا يخلو اما ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم
لبعض او بمعنى متبعين اياهم المومنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم
او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا
على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملايكة اخرين او متبعين
غيرهم من الملايكه ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة ال عمران بثلاثة
الاف من الملايكه منزلين بخمسة الاف من الملايكه مسومين ومن قرأ مردفين
بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد
الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت
تاء الافتعال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على
اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بالاف من الملايكه على
الجمع ليوافق ما في سورة ال عمران فان قلت ــــ فبم يعتضد من قرأ على

التوحيد ولم يقيس المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم
غيرهم قلت ما المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين
من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله
قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم
فان قلت فعلى من قرا على بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول
القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل
عليه ممدكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل
يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم وكان الامداد بالملائكة
بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله
يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور
من نصره الله اذ يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في
عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ
بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والفاعل هو الله عز وجل امنة منه
فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا
قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب
امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا
اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى
غير هذه القراءة قلت يجوز ان تكون الامنة بمعنى الامان اي ينعسكم
امانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل
يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم
النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو
لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس
في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة
حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت
لا تبعد فصاحة القران عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال

يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون
الميم ونظير امن امنة حيي حيوة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان
ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم
رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة
من الشيطان وينزل وقرئ بالتخفيف والتثقيل وقرا الشعبي ما
ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه
قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من
العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك
ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فقال
لهم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة
وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم
الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا
من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا
فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله واصحابه
الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضاوا
وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت
وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط
لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال
اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم الله وان ينتصب بيثبت اني
معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي
مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم
وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا
ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب
اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد

بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تتقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم
في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدودون بالملائكة وقيل
كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول اني
سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن
ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهولاء
لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق
التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا
للرؤس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال
واضرب هامة البطل المشيح غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا
اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى
فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع في مقتل او غير مقتل
فامرهم ان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله
كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتون
به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم
قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المومنون
ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله
الرفع على الابتدا وانهم خبر اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم
والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف
شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة
وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب
وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول
او لخطاب كل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على
ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم
ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم
في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب

العاجل مع الاجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرئ وان
وان للكافرين بالكسر زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش
الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي
اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى
اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان
تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين
هم وانتم او حال من المومنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين
حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة
نهي لهم عن الفرار يومئذ في قوله ومن يولهم يومئذ دبره الا
متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف
عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة
الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر خرجت
سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت
فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم
رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر فقال يا امير المومنين هلكت فررت
من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من
الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال
والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا
او متحيزا وقرا الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا
واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت
قريش قال رسول الله هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي
فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه

فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفا
جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر
وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد
اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة
لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت
رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله
لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر
فعل الله تعالى فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من
الرسول اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع
ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى والاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل
وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن
ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن كيد معطوف على ذلكم يعني
ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد
وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين
ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا
للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان
كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين
واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم اي اهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين
وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم
واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على
ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه ويعضدها

قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا
فتطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله لان
المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد ومن يطع الرسول فقد اطاع
الله وكان رجع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال
لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا
الامر وامتثاله وانتم تسمعون او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه
وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم
ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة
فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها
صار تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب
ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق
لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هؤلاء
الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا
سماع المصدقين ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم
اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا
بعد ذلك وكذبوا فلم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم
يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم
بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا
اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن انهم اهل الكتاب اذا
دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابة
الله وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة
والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي عليه السلام مر على
باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك

عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تجد فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول
قال لاجرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص
به رسول الله والثاني ان دعاه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله
للمصلي فله ان يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان
العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا يعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن وقيل للمجاهدة لانهم لو رفضوها لغلبوهم
وقتلوهم ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله بل احيا عند ربهم
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة
التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوايه
وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم
لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة
القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه
فيفسخ عزايمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن
خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جايز
على الله فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة
على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء
بباله لا يخفى عليه شي من ضمايره فكانه بينه وبين قلبه وقري بين المرّ
بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخت
ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمرّ فتنة ذنبا قيل هو اقرار
المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا
تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة
فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها
تعمكم وهذا كما يحكى ان علما بني اسرايل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم
الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا

او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله
من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل
واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام
واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذيب قط اي بمذق مقول فيه هذا
القول ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم
المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم
الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها
فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم
الجمل وروي ان الزبير كان يساير الرسول عليه السلام يوما اذ اقبل علي رضي الله
عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله كيف حبك لعلي فقال يا رسول
الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت
اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة
في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا
تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت
فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه
الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان
الظلم اقبح منكم من ساير الناس اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور
لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفون في الارض
ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم
الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعدا منافين مضادين فاواكم
الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملايكة يوم بدر
ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا
هذه النعمة عن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم
عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون
فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنايم وجعلهم ملوكا معنى

للخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل
في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان
فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه
اذا انقطع به فكأنه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا
الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم
بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم
تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء
تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان النبي حاصر يهود بني
قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله الا ان ينزلوا
على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر
وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت
قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية
من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله
عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون
رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك
الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان وقيل
اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا
جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي
وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا
امانتكم على التوحيد واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في
الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون

فيهم

فيهم على حدوده والله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنشطوا بطلبه وتاتوا ذلك اليه
هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا
انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة
وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين
الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان
او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارض
من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من
الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل
الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش
به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجائه من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح
الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا
لما اسلمت الانصار فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة
متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما
انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا
مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه
وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب
المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه
من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم
فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الراي يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه
سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا
يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا
على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله وامره ان لا يبيت
في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا فنام في مضجعه وقال له اتشح

بردي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا
الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا
اثره فابطل الله مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك
بالضرب من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت
وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعي ليبيتوك من البيات
وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون
ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة
والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا
ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا
مثل هذا نفاجة وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم
لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤوا
غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع
فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم
واحد فيتعلقوا بامتناع المشيئة وهم ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم
على ان يقهروا رسول الله وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن
الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت
لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار
فزعم ان هذا مثل ذاك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل ان كان هذا
هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا
على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه
حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب
بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل
حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص
والتعيين هذا هو الحق وقرا الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا
غير فصل وهو في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت

انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في
معنى العذاب فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون
الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة
المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه
مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب
الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر
من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا
عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان
كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا
له اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم
في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال
ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجرت عنهم
والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم الله وانه لا يصح هذا بعد
اثبات التعذيب كانه قال وما كان ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا
فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار
عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا
يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم
وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من
المستضعفين وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب
عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون
وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية
واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة
البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما
استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباببه ان

ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره
انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام
ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنا من كان يعلم وهو يعاند ويطلب
الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكا فعال بمعنى
الثغا والرغا من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكا كانه سمي بذلك لكثرة
مكايه واصله الصفة نحو الوضا والقرا وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما
البكا والبكا والتصدية التصفيق تفعلة من الصدا او من صد يصد
اذا قومك منه يصدون وقرا الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر — يعني صاح
كان على اسمه فان قلت ـــــ فما وجه هذا الكلام قلت هو نحو
قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا — والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطا
وضعوا المكا والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنسا وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون
وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله في صلاته يخلطون عليه فذوقوا
عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها
الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل
يوم عشر جزاير وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا
بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر
وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان
واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد
عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة
اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة
ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم وبين المومنين سجالا قبل ذلك
يرجعون طلقا كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا اي الكافرون
منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث

الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المومنين ويجعل الله الفريق
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا
كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة
الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون
في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان
في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله تعالى فتكوى
بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم
حسرة وعلى الاول بيحشرون او اولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ
ليميز على التخفيف قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم
هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا
يغفر لكم وهي في قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان
ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام
يغفر لهم ما قد سلف من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت
سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة
الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك
ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا
غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة
من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم
لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضا حقوق الله وتبقى
عليه حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة في المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء
العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسروا ان يعودوا بالارتداد
وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان
لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل
ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله

بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان
الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا
فان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته ما غنمتم
ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدا
خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي
عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور
آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من اثبات الخمس فيه ولا سبيل
الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من
المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى
لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت
كيف قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول
الله على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي القربى من بني هاشم
وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة
والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله هؤلاء
اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم
ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة
واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم
وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم لليتامى
والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك
سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى
اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند
الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه
رسول الله اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع
ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر

مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض
الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم دون
بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر
الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى
لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان
يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا
غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها
كقوله تعالى وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى
الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف
الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ
قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم
الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس انه
كان على ستة اسهم لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى
ابو بكر الخمس على ثلثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان
ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج
ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني
لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي انه قيل له
ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن
الحسن في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت
ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر
وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان
قلت بم تعلق قوله ان كنتم امنتم بالله قلت بمحذوف
يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة
يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس

كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا
ولا ان نركب منه البراذين وقيل
الخمس كله للقرابة وعن علي رضي
الله عنه صح

المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم المتضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم
المجرد تستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله
اي ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعُبُد
الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر يوم التقى الجمعان الفريقان من المسلمين
والكافرين والمراد ما انزل الله عليه من الآيات والملائكة والفتح ويؤيد
والله على كل شيء قدير على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز
كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي
بالكسر والضم والفتح وقرئ بهما وبالعدية على قلب الواو يا لان بينها
وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى
حاجزا
فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء
والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما
القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال
القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب و
مع اغيلت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب
اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم
بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو
مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا فان قلت ما فائدة هذا التوقيت
وذكر مراكز الفريقين وان العير كان اسفل منهم قلت الفائدة
الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته
وتمهد اسباب الغلبة وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم
في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر
الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ
بها المشركون كان فيها الماء فكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا
وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت
العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم

وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم
واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم
في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع
ذلك قلوبهم ويضبط همتهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم
ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير
ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز
دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة
حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين وخرج بقريش مغوثا لما بلغهم
من تعرض رسول الله لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب
حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم القصوى
ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو
تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال
لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم
ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه
الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان
يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير
الهلاك والحياة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح
بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم
ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به
وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها
كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار
التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم
او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من امن وثوابه اذ يريكهم
الله نصب باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق
بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك

وذلك أن الله تعالى أراه إياهم في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا
لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لأنها مكان
النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف
وما أحسب الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب
وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم في الرأي وتفرقت
فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أي عصم
وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف إنه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع إذ يريكموهم الضميران
مفعولان يعني إذ يبصركم إياهم وقليلا نصب على الحال وإنما قللهم في
أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم
ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل
إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم فقال
ألفا ويقللكم في أعينهم حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور فإن قلت
الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين
في أعينهم قلت قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده
ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل
شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم
مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح
الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا فإن قلت بأي طريق
يبصرون الكثير قليلا قلت بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر
أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول
ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين
يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة إذا لقيتم فئة
إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون
إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا

واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له
على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر
ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك
وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام صفين
وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني
وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر
الله شاغل وإن تفاقم ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا
منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقديرين
قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم
بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها
فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله
أتنظران قليلا ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للعادي وقيل
لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت
عاد بالدبور وحذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم
بأحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من
ديارهم هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان
وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم
بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب
فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كأس المنايا
مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا أمثالهم
بطرين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة
والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله وإذ زين لهم
الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس إليهم أنهم لا
يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان مما يجيرهم كما

تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود
الله وعن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم
يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت الذي بينها وبين
بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة
بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين
معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني جار لكم من بني كنانة فلما رأى الملائكة
تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث
الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث
وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك
سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا
انه الشيطان وفي الحديث ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا
اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما روي يوم بدر فان
قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت
لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر
تقديره لا غالب كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض
يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا
بثابتي الاقدام والذين في قلوبهم مرض يحتمل ان يكون من صفة المنافقين وان
في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين
اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة
عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله
عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى ولو
عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي
الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالتاء والياء
والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى
ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد

ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي
والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني ان يعتبر
ثم يعطي الرجل القوي البطش شيئا من حديد كهيئة الطبق فيه
زبانة ولم ينقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيجتمع في مكانه
ويقتل يضربون منهم ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون
على ارادة القول اى ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اى مقدمة عذاب
النار او وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا بها التهبت النار او يقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب
لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل
ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وما قدمت
خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم
وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة
المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد ولان العذاب من العظم
بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه
الكاف في محل الرفع اى دأبهم مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم
وعملهم الذي دأبوا فيه اى داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لدأب
آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب
ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا
ما بهم من الحال فان قلت فما كان تغيير آل فرعون ومشركي مكة
حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة
قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة
الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام
فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين
في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال
وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون

كدأب آل فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران
النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا
ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر
والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه
فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله ان لا يمالئوا
عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطانا
ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم
من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار
المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة
الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب فاما
تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك
بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجترئ عليك
بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرا ابن مسعود فشرذ
بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر
ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرا ابو حيوة من خلفهم
ومعناه فافعل التشريد من وراءهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل
التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء
ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم
يذكرون لعل المشردين من وراءهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين
خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد
على سواء على طريق مستو قصد وذلك بان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم
اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب
وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين
فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم

بنقضه وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كانه
قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء
في العلم او العداوة على انها حال من النابذ او المنبوذ اليهم سبقوا
فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم وكل واحد
من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف
والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرا ابن محيصن يعجزون
بكسر النون وقرا الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها
على حذف النون الخفيفة وقرا حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفاعل الذين
كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم
البرق خوفا وطمعا واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا
وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال
بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا
سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل لا يحسبن قبيل المؤمنين الذين
كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد
بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين من قوة
من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول
الله يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين
قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون ومن رباط الخيل اسم للخيل التي
تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز
ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرا الحسن ومن ربط الخيل
بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل
تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين
انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فيرابط
عليها في سبيل الله ويغزى عليها فقيل انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع

قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف
والتشديد وقال ابن عباس ومجاهد تخزون به عدو الله والضمير في به راجع
الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود
وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث
ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان
صهيل الخيل ترهب الجن جنح له واليه اذا مال والسلم تونث تانيث نقيضها
وهي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها
جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الآية منسوخة
بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام
واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة
ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف
من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم
وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله اي فان محسبك الله
قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله من الآيات الباهرة
لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى
شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلف
قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا وانشاوا يرمون عن قوس واحد
وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب
والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله
والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء
ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب
والوقايع ما اهلك سادتهم ورؤساهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم
امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافر

هذه
وعلى كل طائفة كانت هذه الصفة ان تتجنب ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر
عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا
انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن
اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا
تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك
عضب مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون
في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء
في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن
جبير انه اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت
التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ
فيه حتى يشفي على الموت او تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا
في هذا الامر وممرضا فيه لتهيجه وتحركه منه وقرئ حرص بالصاد
غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال حركه وحرصه وحرشه
وحرته بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان
صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال
بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب انهم قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب
وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون
خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار
من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان
رسول الله بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب
قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف
عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا
بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر
والفقر وضعفا جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء
والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة

والاستقامة في الدين كانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى
الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت
للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد
تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة
المائة المائتين والالف الالفين قرئ اسرى على التوحيد واسارى يثخن
بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته
الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله
من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه
باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر
ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر
فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله
اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار
ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ
منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن
عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب
اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك
يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فقراء فلا يفلتن احد منهم الا بفداء
او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد
وكان فداء الاسارى عشرين اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير
وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله فاذا هو

بكيت

وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء وان لم اجد بكاء
تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب
من السماء لما نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل
احب الي عرض الدنيا حطامها سمي لانه حدث قليل اللبث يريد
الفداء والله يريد الاخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام
بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرا بعضهم والله يريد الاخرة
بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله
ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الاخرة على التقابل
يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنهم منهم قتلا
واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا
وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح المحفوظ
وهو انه لا يعاقب احدا بالخطاء وكان هذا خطا في الاجتهاد لانهم نظروا
في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى
به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن
وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها
وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة
وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا
عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه
من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان
قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه
قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم
اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم
فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم

اوله
اكل امرئ تحسبين امرءا

وفي قلوبكم خيراً خلوص إيمان وصحة نية يؤتكم خيراً مما أخذ
منكم من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة وفي
قراءة الأعمش يثبكم خيراً وعن العباس أنه قال كنت مسلماً لكنهم استكرهوني
فقال رسول الله إن يكن ما تذكره حقاً فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان
علينا وقد كان أحد الذين ضمنوا الطعام لأهل بدر وخرج بالذهب لذلك
وروي أن رسول الله قال للعباس افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن
الحرث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت فقال له أين الذهب الذي
دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني
في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق
وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله
ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما إذا
أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلني الله خيراً من ذلك لي الآن عشرون
عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي
بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وروي أنه قدم على رسول الله
مال البحرين ثمانون ألفاً فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن
يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة
والله غفور رحيم وإن يريدوا خيانتك
نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله
من قبل بكفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه فأمكن منهم كما رأيتم
يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا
من الفداء الذين هاجروا أي فارقوا أوطانهم وقومهم حباً لله ورسوله هم
المهاجرون والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار
بعضهم أولياء بعض أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون
والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك

بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أي من
توليهم في الميراث ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضاً شبه بالعمل والصناعة
كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمراً ويباشر عملاً فعليكم النصر فواجب عليكم
أن تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم عهد فإنه لا يجوز لكم
نصركم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك والذين
كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين
أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم
وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوهم يتوارثون بعضهم
بعضاً ثم قال إلا تفعلوه أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي
بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم
تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تفعلوا قرابتهم تكن فتنة تحصل فتنة
في الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك
ظاهراً والفساد زائداً وقرئ كثير بالثاء أولئك هم المؤمنون حقاً لأنهم
صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل
والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم
والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل والذين آمنوا من بعد
يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلاً
منه وترغيباً وأولوا الأرحام أولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ
للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح
وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة على توريث
ذوي الأرحام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع
له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل
منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا
سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية

ولها عدة اسما براه التوبه المقشقشه المبعثره المشردة
المخزية الفاضحه المثيره المنكله المدمدمه سورة العذاب
لان فيها التوبه على المومنين وهي تقشقش من النفاق اي تبري منه وتبعثر
عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكل بهم
وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفه انكم تسمونها سورة التوبه
وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت
هلا صدرت باية التسميه كما في ساير السور قلت سال عن ذلك ابن
عباس عثمن فقال ان رسول الله كان اذا نزلت عليه السوره او الايه قال اجعلوها
في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله ولم يبين لنا اين
نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا
تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر
العهود وفي براه نبذ العهود وسيل ابن عيينه فقال اسم الله سلام وامان
فلا يكتب في النبذ والمحاربه قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام
لست مومنا قيل فان النبي قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم
قال انما ذلك ابتدا يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى
فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزيه فاجاب فقد اتبع الهدى واما
النبذ فانما هو البراه واللعنه واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تخف
ولا تخف ومترس ولا باس هذا كله امان وقيل سورة الانفال والتوبه
سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعه من الطوال وهي سبع
وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مايتان وست فهما بمنزلة احدى
الطوال وقد اختلف اصحاب رسول الله فقال بعضهم الانفال وبراه سورة
واحده وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجه لقول من قال هما سورتان
وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحده براه خبر مبتدا محذوف
اي هذه براه ومن لابتدا الغايه متعلق بمحذوف وليس بصله في قولك برئت
من الدين والمعنى هذه براه واصله من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول

كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براه مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقري براة بالنصب على اسمعوا
براه وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف
لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين
وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت البراه بالله ورسوله والمعاهده
بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهده المشركين اولا فاتفق
المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم
فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا
مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكه وغيرهم
من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمره وبنو كنانه فنبذ العهد
الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعه اشهر امنين اين شاوا
لا يتعرضون لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك
لصيانه الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنه تسع من
الهجره وفتح مكه سنه ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول
الله ابا بكر على موسم سنه تسع ثم اتبعه عليا راكب العضبا ليقراها
على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي عني الا رجل
مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغا فوقف وقال هذا رغا ناقه رسول الله
فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق
هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع
ابو بكر الى رسول الله فقال يا رسول الله اشي نزل من السما قال نعم فسر وانت
على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم
عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبه فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين ايه وعن
مجاهد ثلث عشر ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنه الا كل نفس مومنه وان يتم

الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد
وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف
وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها
ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف
ما يعرف فينا من نقض العهود فازيحت علتهم بتوليه ذلك عليا رضي الله عنه
فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت
في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل
هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر
وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب
لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر
ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسي الذي
كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه
اطباق اكثر العلما على ان مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها
الله عن ذلك قلت قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين
فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا
بالقتل وفي الاخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين
ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة
كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطا بمعنى الايمان والاعطا فان
قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك
اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت
لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس
قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان
فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم
ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم

افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ
بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر ان
رسول الله وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم
الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف
بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك
ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن
سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد
اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر
حذفت البا التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بكسر الهمزة لان الاذان
في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بري او على محل ان المكسورة
واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بري
معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان
اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريا من رسوله فانا منه بري
فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان
تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي
والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين
اخذه وعقابه فان قلت مم استثني قوله الا الذين عاهدتم قلت
وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين
ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم
سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين
لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر
ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين
فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط
ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

حلفاء أبينا وأبيك الأتلدا

فانشد
وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله
لاهمّ اني ناشد محمدا الخ ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجّدا وقتلونا ركعا وسجّدا فقال عليه السلام لا نُصرتُ
ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى
فاتموا اليهم فادّوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم
تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنجردا
والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني
الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم
وأسروهم والأخيذ الأسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف
في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد
كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لأقعدن
لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الحصر والأسر
وكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به
وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف
لهم من الكفر والغدر وان احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر
تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل
الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر
لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد
والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع
على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله
ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن
هي محكمة الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه
فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله
او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك
الآية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي

اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فأجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون
ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا
الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين
عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء
عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك
ذلك بقوله الا الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة
وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا
لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار
لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال
وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات
اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعدما سبق لهم من تأكيد
الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا
لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش
كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل
وجبرال العزى لك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم والرحمن
ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا او تحالفوا رفعوا به اصواتهم
وشهروه من الال وهو الجؤار وله أليل اي انين يرفع به صوته ودعت أليلها
اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة
عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم
من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتأبى
قلوبهم مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل
واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم
كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف
عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بآيات الله
بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عـ

عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو
سفيان هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا
عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله
فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض
كانه قيل ومن تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما
فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في
دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ايمة الكفر فقاتلوهم فوضع ايمة الكفر
موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا
وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين رجعوا فارتدوا عن الاسلام
ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في
دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ايمة الكفر وذووا الرياسة
والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام
طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا
طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان
لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه
فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها
عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة
وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر
لا تكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون
بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بفقاتلوا ايمة الكفر بقوله
اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعدما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون
المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله
وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ايمة قلت
همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين

قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة
ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت
الهمزة على لا تقاتلون تقريرا على انتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها
على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج
الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله
له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم اول مرة اي وهم الذين كانت
منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم
به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي
اظلم فما يمنعكم ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم
بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر
ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء
بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها
اتخشونهم تقرير للخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه
فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى
المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما
وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت
قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليكم
النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال
ابن عباس هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها
اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج
قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله
لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته
ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن
كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ
ويتوب الله بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر

من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل إلا ما اقتضته
الحكمة أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى
أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين يضادون
رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على أن تبيين ذلك
والإيضاح عنه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين
المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا وداخل في حيز الصلة
كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة
من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم
نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني
ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام أن يعمروا مسجد الله يعني المسجد
الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما
أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها
فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد
جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا
يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقه
طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن
من تصريحك بذلك شاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن
يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته
ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم
حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب
قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو
قولهم لبيك لا شريك لك هو لك تملكه وما ملك وقيل أقبل المهاجرون والأنصار
على أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب يوبخ العباس
بقتال رسول الله وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس

تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل
منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك
العاني فنزلت حبطت أعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك
العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها
فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا
عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في
حال واحد وذلك محال غير مستقيم إنما يعمر مساجد الله وروي بالتوحيد إنما
تستقيم عمارة هؤلاء ويكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها
وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة
والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم
تبن له من حديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي عليه السلام يأتي في
آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم
فيها حب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث
في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله
تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه من ألف
المسجد ألفه الله وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا
له بالإيمان وعن أنس من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش
تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه فإن قلت هلا ذكر
الإيمان برسول الله قلت لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول
لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين
كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت الإيمان بالله
الإيمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة
فإن قلت كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك
أن لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا على رضا الله
يختار

رضي غيره لتوقع محذور واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه
ان خاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام
ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع
باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأمّلوا عاقبتها بان الذين امنوا
وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم
دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين انهم مهتدون نائلون عند الله الحسنى
وفي هذا الكلام ونحوه لطف الله للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء
ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية
ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان
من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان تسوى بينهم
وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود
نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم
اليهود انتم افضل وقيل ان عليا قال للعباس الا تهاجرون الا تلحقون
برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد
الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا
على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وهم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية
والعمارة عندكم او لكثرتهم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم
وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة
الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين خاصة كان
قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا ان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة
ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين
قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت
اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فتهاجروا فجعل

الرجل يأتي ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله
ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي عليه السلام لا يطعم احدكم طعم
الايمان حتى يحب في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله
اقرب الناس وقرئ وعشيرتكم وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم
تربصوا حتى يأتي الله بامره وعيد وعن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن
عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى
على الناس ما هم فيه عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف
اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله
والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان
والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله
ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه
الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه
ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن
لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعهن
الصرف لانه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات
بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فان قلت
كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت
معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز
ان يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم
حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ
اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان
كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان
يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد اذ
بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين

حضر وانضم اليه الفان من الطلقاء ومن هوازن وثقيف وهم اربعة
الاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول
الله وقيل قائلها رسول الله وقيل ابو بكر وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا
قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو
الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده
وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس وابو سفيان بن الحرث
ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة
جاشه وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال
للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى
يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك
لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله
الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم
به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس فكاني انظر الى
رسول الله يركض خلفهم بغلته بما رحبت ما مصدرية والبا بمعنى
مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع
الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها يعني مع
ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم
لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته
رحمته التي سكنوا بها وامنوا وعلى المومنين الذين انهزموا وقيل هم الذين
ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملائكة وكانوا
ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا
بالقتل والاسر وسبي النسا والذراري ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك
ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله على الاسلام
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا
واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الف نفس واخذ من الابل والغنم

ما

ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما
ذراريكم ونساءكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام
رسول الله فقال ان هولا جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال
فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه
ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه
قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاكم
فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفا ان قد رضوا النجس مصدر يقال
نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو
بمنزلة النجس لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة
لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم
نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا واهل
المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم
على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب
نجس واكثر ما جا تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا
يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد
عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر على
الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي حين نادى
ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد
الحرام وساير المساجد عندنا وعند الشافعي يمنعون عن المسجد الحرام خاصة
وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطا ان المراد بالمسجد
الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين
ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا
من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم
عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم
عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او
تفضله

وجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم
اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به وكان ذلك اعود
عليهم مما خافوا من العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم
الخوف وقالوا من اين ناكل فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية
وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او
حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة
لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله لان اليهود
مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب
وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم الله في الكتاب والسنة وعن ابي
روق لا يعملون بما في التورية والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا
دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله ان عزوه
اي يعطوها او لانهم يعطون بها من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد ان كان
يراد به المعطي او الاخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد
اي عن مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع
المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم
نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها
عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي
الى يد الآخذ واما على ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة
مستولية او انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة
عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان
يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس
وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها
ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا تسقط بخروج
الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر

من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم وروى الزهري
ان رسول الله صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل
مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية
العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول
كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنا ضعفها
ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له
وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا
كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله
وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع
صرفه ومن نون جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء
الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف
وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان
بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله
فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع
الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض
فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب فقال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها
عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو
غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت
عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت
كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ
من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك
ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا
معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة

يريدون به مذهبه وما يقوله كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم
لانه لا حجة معهم ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة
له لم يبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره
يضاهي قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا
والمعنى ان قول الذين كانوا في عهد رسول الله من اليهود والنصارى يضاهي
قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين
الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله
قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهيون بالهمز من قولهم
امراة ضهيا على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها
مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة
قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي
وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه
تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن
يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم اتيت الى رسول الله وفي عنقي
صليب من ذهب فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون
ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي
اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واتخذوا المسيح حيث
جعلوه ابنا لله فعبدوه فقد اهلوه للعبادة الا الى هو قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة
العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير
في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا
ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون
مستعبدون مثلهم مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب

بحال

بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده
ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه
ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين
الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال
كرهت او ابغضت الا زيدا قلت قد اجرى ابى مجرى لم يرد
الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع
ولا يريد الله الا ان يتم نوره معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار
الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما ان الاموال يؤكل
بها فهي سبب للاكل ومنه قوله ياكلن كل ليلة اكافا يريد علفا يشترى
بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام
والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة
الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين
فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير
ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين
من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا
يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت
الزكوة اية الكنز وقيل ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله
منع الزكوة وعن النبي عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا
وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر ان رجلا ساله
عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش
امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت
زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته فهو الذي
ذكره الله وان كان على ظهر الارض فان قلت فما تصنع بما روى سالم
ابن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا
له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه

وبقوله عليه السلام من ترك صفرا او بيضا كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار
فقال كيتان قلت هذا كان قبل ان تفرض الزكوة واما بعد فرض
الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدى
عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن
عوف وطلحة ابن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد
ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل فى الورع والزهد
فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شىء حد وما روى
عن على رضى الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى
الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت
ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة
كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل
ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب
كما ان معنى قوله فانى وقيار بها لغريب فان قلت لم خصا بالذكر من
ساير الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما
الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم ساير اجناس
المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى
عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمى الميسم واحميته ولا يقال احميت على الحديد
قلت معناه ان النار تحمى عليها اى توقد ذات حمى وحر شديد
من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت
فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور
اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال
الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر
القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عباس انه قرئ تحمى بالتاء وقرأ ابو
حيوة فيكوى بالياء فان قلت لم خصت هذه الاعضاء قلت
لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها فى سبيل الله الا الاغراض الدنيوية

من وجاهتهم عند الناس وتقدمهم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون
بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها
وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم
كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم
قول رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا
الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم
وولوه ظهورهم وقيل معناه ان يكوى على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم
وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اى كنزتموه لتنتفع
به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما علمتم انكم
كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب فهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون
وقرئ يكنزون بضم النون اى وبال المال الذى كنتم تكنزونه او وبال كونكم
كانزين فى كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل
فى اللوح اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد
فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام فى خطبته فى حجة الوداع الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة
حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى
بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى
الحجة وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا
الحجة وكانت حجة ابى بكر قبلها فى ذى القعدة ذلك الدين القيم يعنى ان
تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب
قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال
فيها حتى لو لقى الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة
حتى احدثت النسىء فغيروا فلا تظلموا فيهن فى الحرم انفسكم اى لا تجعلوا
حرامها حلالا وعن عطاء تالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى
الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراسانى احلت القتال فى الاشهر الحرم

اصحه م

واثم من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما
عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وإن
كان ذلك محرما في سائر الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول المعنى
ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لأهلها النسيء تأخير حرمة الشهر
الى شهر آخر وذلك انهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام
وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا
آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم وكانوا يحرمون من شهور
العام أربعة أشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا
العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد
الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او أربعة عشر
ليتسع لهم الوقت ولذلك قال تعالى إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني
من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء أي إذا أحلوا
شهرا من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى أنه حدث
ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف
الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته
إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهتكم قد
حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث
معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما أن المؤمن إذا أحدث
طاعة ازداد إيمانا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء
للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله تعالى وقرأ
الزهري النسي بالتشديد والنسيء مصدر نسأه إذا أخره يقال نسأه
نسأ ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا
وقرئ النسي بوزن الهدي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء
فإن قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا
بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص

الاختصاص للأشهر بعينها زين لهم سوء أعمالهم خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة
حسنة والله لا يهدي أي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم
على البناء للفاعل وهو الله تعالى اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الأعمش
أي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى والمعنى
ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد
الى الأرض واتبع هواه وقيل ملتم الى الإقامة بأرضكم ودياركم وقرئ
أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ فإن قلت ما
العامل في إذا وحرف الاستفهام مانعه أن يعمل فيه قلت ما دل عليه
أو ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال
إذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف
استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق
عليهم وقيل ما خرج رسول الله في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك
ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة
في الآخرة في جنب الآخرة إلا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم
بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا
منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل
الضمير للرسول أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن
الله ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن
وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فإن قلت كيف يكون
قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان أحدهما إلا
تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من واحد
فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت
والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل
من بعده وأسند الإخراج الى الكفار كما أسند اليهم في قوله من قريتك
التي أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ثاني

اثنين اي احد اثنين كقوله ثالث ثلثة وهما رسول الله وابو بكر الصديق يروى ان جبريل
لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرى ثاني اثنين
بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى
مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون
فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله
فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فقال رسول الله اللهم اعم ابصارهم فجعلوا
يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر
صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لساير الصحابة سكينته
ما القي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود
الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر
وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرى وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي
فصل او مبتدا وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به
دون ساير الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه
لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا
من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبابا وشيوخا او مهازيل
وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله اعلي ان انفر
قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على
الضعفا ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا
كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا
عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا
وثقالا الا انه من يحبه الله يبتله وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب
الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر
فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد
وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن

او باحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا
عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل
المنال سفرا قاصدا وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاطة الشاقة
وقرا عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله
لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفايح بالله متعلق بسيحلفون
او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين
عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد
جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم
واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة
العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرى لو استطعنا بضم الواو
تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون
بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم
الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا
اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها
من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغايب لانه مخبر عنهم الا ترى انه
لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله
ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك
كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبيس ما فعلت
ولم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود
عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن
حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيان فعلهما رسول الله
ولم يومر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفدا من الاسارى فعاتبه الله لا
يستاذنك ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان
الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه ابدا

ولنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى أن يجاهدوا في أن يجاهدوا أو كراهة
أن يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة
لهم بأجزل الثواب إنما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا
يترددون عبارة عن التحير لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار
ديدن المستبصر وقرئ عُدّه بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال
واخلفوك عد الأمر الذي وعدوا من حذف تاء التأنيث وتعويض المضاف إليه
منها وقرئ عِدّه بكسر العين بغير إضافة وعدة بإضافة فإن قلت
كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا
معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كأنه قيل ما خرجوا
ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن إلى زيد ولكن أساء
إلي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا
جعل إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان
بالوسوسة وقيل هو قول بعضهم لبعض وقيل هو إذن رسول الله لهم في القعود فإن
قلت كيف جاز أن يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي
قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو
خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا
ومصلحة فإن قلت فلم خطأ رسول الله في الإذن لهم فيما هو مصلحة
قلت لأن إذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها إلا بعد
القفول بإعلام الله ولكن لأنهم استأذنوه واعتذروا إليه فكان عليه أن يفحص
عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون
في ترك رسول الله الإذن لهم مع تثبيط الله إياهم مصلحة أخرى فبإذنه لهم
تفقد تلك المصلحة وذلك أنهم إذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير
إذن من رسول الله قامت عليهم الحجة ولم يبق لهم معذرة ولقد تدارك الله
ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا
يؤمنون بالله واليوم الآخر فإن قلت ما معنى قوله مع القاعدين

قلت هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين
شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف
ويبينه قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف إلا خبالا ليس من الاستثناء
المنقطع في شيء كما يقولون لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى
من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا إلا خبالا والمستثنى منه في
هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي
هو الشيء فكان استثناء متصلا لأن الخبال بعض أعم العام كأنه قيل
ما زادوكم شيئا إلا خبالا والخبال الفساد والشر ولأوضعوا خلالكم
ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين يقال وضع البعير
وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم
والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير
ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصا إذا أسرعت وأرقصتها أنا قال
والراقصات إلى منى فالغبغب وقرئ ولأوفضوا فإن قلت كيف خط
في المصحف ولا أوضعوا بزيادة الألف قلت كانت الفتحة تكتب ألفا
قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي
من ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه
أو لا أذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف
فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم أي نمامون يسمعون
حديثكم فينقلونه إليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا
الفتنة أي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملكم وتفريق أصحابك
عنك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج
وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به
من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الأمور ودبروا لك الحيل والمكايد
ودوروا الآراء في إبطال أمرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق
وهو تأييدك ونصرك وظهر أمر الله وغلب دينه وعلا شرعه ائذن لي في
القعود

ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بأن لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير
اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي
وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنسا فلا تفتني ببنات
الاصفر يعني نسا الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرى ولا تفتني
من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة
التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى محيطة
بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الان لان اسباب الاحاطة
معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة
تسوهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا
بحالهم وبالاعراض عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون
به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام
التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا
اعرضوا عن رسول الله وقرا ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرا طلحة هل يصيّبنا
بتشديد اليا ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعّل لانه من بنات الواو لقولهم
الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعّل
منه يصوّب الا ترى الى قولهم صوّب رايه الا ان يكون من لغة من يقول
صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصائبات والصيب واللام
في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا
الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى
قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين امنوا
وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا
يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين
اللتين كل واحدة منها حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن
نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من
عنده وهو قارعة من السما كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو

القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم
فلا بد ان يلقى كلانا ما يتربصه ولا يتجاوزه انفقوا يعني في سبيل الله
ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين
فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت
هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا
ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر
لهم او لا تستغفر لهم وقول الشاعر اسيئي بنا او احسني لا ملومة
اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر ولا نلومك اسأت الينا
او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل
الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل
ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف
محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل
يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل
اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك
المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم
وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض
في نفي التقبل اهو كون رسول الله لا يقبله منهم ويرده عليهم ما يبذلون منه ام
هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هبا لا ثواب له قلت يحتمل
الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله
ورسوله او ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم
الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من روسائكم
لان روسا اهل النفاق كانوا يحملون على النفاق لما يرون من المصلحة فيه او
مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة
تبوك فقال لرسول الله هذا مالي اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم
والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم ولن تقبل مفعولاه

وقرئ لن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم
على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي لن تقبل نفقاتهم على ان الفعل لله تعالى
كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران
وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي
ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وروي في بعض
الاخبار ان رسول الله كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه
الاية وان الكسل من صفات المنافق فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى
نفسه فان قلت الكراهة خلاف الطواعية وقد جعلهم طائعين
في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت
المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله او من رؤسائهم وما
طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار الاعجاب بالشيء
ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن
ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما
اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للغنم والسبي وبلاهم فيه
بالافات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون
له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمحاشر في جمعه واكتسابه
وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله
فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم
كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته
الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة لمنكم لمن
جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام
تقية ملجأ مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من رأس جبل او قلعة
او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار
اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة
يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى

مهارب ومغاور او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل
من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه
انفسهم وقرأ ابي بن كعب متدخلا وقرئ لولوا اليه لالتجؤا اليه
يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي
اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون
ويشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل
هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول
الله عليه السلام يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم
اعدل فمن يعدل وقيل هو ابن الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى ابو الجواظ
صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله
لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا
هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك
بالتثقيل والتاء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم
لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل
مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجأة
اي وان لم يعطوا منها فاجاؤا السخط وجواب لو محذوف تقديره ولو انهم
رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة
وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه
وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله
اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخول لنا فضله لراغبون
انما الصدقات للفقراء قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة
وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم
ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان
تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي
حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا

في أي صنف منها وضعتها أجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء
متعففين فجبرتهم بها كان أحب إليّ وعند الشافعي لا بد من صرفها إلى الأصناف
وعن عكرمة أنها تفرق على الأصناف الثمانية وعن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد
العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين
يقبضونها والمؤلفة قلوبهم أشراف من العرب كان رسول الله يستألفهم على أن
يسلموا فرضخ لهم شيئاً منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون
منها وقيل الأسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم
الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها
وغرموا في سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر
المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ
فريضة بالرفع على تلك فريضة فإن قلت لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة
الأخيرة قلت للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره
لأن في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة
لها ومصباً وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين
من الغرم والتخليص والإنقاذ ولجمع الغازي الفقير والمنقطع في الحج بين الفقر
والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال
وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب
والغارمين فإن قلت فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين
ومكايدهم قلت دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة
دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسماً لأطماعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمان
وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها
ولمز قاسمها الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد
سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم
للربيئة عين وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن وأذن خير كقولك

رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن
ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس
بأذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمةٍ بالجر عطفاً عليه أي هو أذن
خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله
لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار
وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الإيمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم
ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم
ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم فهو أذن
كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسره
بما هو مدح له وثناء عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته
وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة وقيل إن جماعة منهم
ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فإنما هو أذن
سامعة فيسمع كلام المبلغ فأذى ونحن نأتيه فنعتذر إليه فيسمع عذرنا
أيضاً فيرضى فقيل هو أذن خير لكم وقرئ أذنٌ خيرٌ لكم على أن أذن خبر
مبتدأ محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير لكم يعني إن كان كما
تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم
وقرأ نافع بتخفيف الذال فإن قلت لم عدي فعل الإيمان بالباء إلى
الله وإلى المؤمنين باللام قلت لأنه قصد التصديق بالله الذي
هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم
ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام ألا ترى إلى قوله
وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى إلا
ذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الأرذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم فإن
قلت ما وجه قراءة ابن أبي عبلة ورحمةً بالنصب قلت هي
علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله أذن
خير لكم يدل عليه ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن

من النبي

او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويوكدون معاذيرهم بالحلف
ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مومنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم
الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضى الله ورضى
رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني
او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة
من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان
تكرير لان في قوله انه توكيد ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان
جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار
جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا
يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق
الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير
في عليهم وتنبئهم للمومنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه
ويجوز ان تكون الضماير للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة
عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم ما في قلوبكم كيت وكيت يعني انها
تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل
معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع
على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله
مخرج ما كنتم تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة وان الله
مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله يسير في
غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد
ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك
فقال احبسوا علي الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا
والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض
الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون
لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم

٦

وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزا به
يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا
تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور
سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان
ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق
نعذب طائفة منهم بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه
او ان يعف عن طائفة منكم لم يوذوا رسول الله ولم يستهزئوا به فلم
يعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين موذين
لرسول الله مستهزئين وقرا مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء
للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول
سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان
ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب والجيدة قراءة العامة ان يعف عن
طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة
يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله تعالى بعضهم من بعض اريد به
نفي ان يكونوا مومنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله
وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المومنين يامرون بالمنكر
بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم
شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره
فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق
الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا
ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين
بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله ان يقول المسلم كسلت لان المنافقين
وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود
هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا
يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب

وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة
المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم
دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون
عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا
من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم
الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل ما فعل
الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه
قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا بإضمار لم أر وقوله كانوا أشد منكم
تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق
للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسم لأنه قسم ونصيب لأنه نصب
أي أثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي
خاضوا وكالخوض الذي خاضوه فإن قلت أي فائدة في قوله فاستمتعوا
بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله
كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت
فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم
بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح
في الآخرة وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد
ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله
فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت
تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله
مستند إليه مستغن بإسناده إليه عن تلك التقدمة حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه
في الآخرة لمن الصالحين وأصحاب مدين وأهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات
مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب
أحوالهن عن الخير إلى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم

لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به
فاستحقوا عقابه بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم
من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي
تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما تعني أنك
لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف
يعطيك ربك فترضى سوف يؤتيهم أجورهم عزيز غالب على كل شيء قادر
عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب
الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت
الأحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن
ويدل عليه ما روى أبو الدرداء عن رسول الله عدن دار الله التي لم ترها
عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل
نهر جناته على حافاته ورضوان من الله أكبر وشيء من رضوان الله أكبر
من ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه
عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا
علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وإنما تهنأ له برضاه
كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت بعض
أولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا
تنازع نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى
رضاه عني وأن أحشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك إشارة
إلى ما وعد أو إلى الرضوان أي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس
فوزا وروي أن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا
لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل
من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط
عليكم أبدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهاد
جميعا

واغلظ عليهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد
بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود ان لم تستطع بيدك
فبلسانه فان لم تستطع فليكفهر في وجهه فان لم تستطع فبقلبه يريد الكراهة
والبغضاء والتبري منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود
عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معهم منهم الجلاس بن سويد
فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم
سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر ابن قيس الانصاري للجلاس
اجل والله ان محمدا والله صادق فانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله
فاستحضره فحلف بالله قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك
تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس
يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب
الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد
اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك
عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته
الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته
يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع
اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال
اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده
على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله ابن ابي وان لم يرض رسول الله
وما نقموا وما انكروا او ما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين
قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون
الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني
عشر الفا فاستغنى وان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس
في الدنيا والآخرة بالقتل والنار روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله

ادع الله يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير
لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل
ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله فقيل كثر
ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله مصدقين لاخذ
الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة
واقراه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه
الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله
قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله
قد منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم
تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته
فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان ومنهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين فيهما
من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير
للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه
وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله تعالى والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن
في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى يوم بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق
والصلاح وكونهم كاذبين فيه فجعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون
بالتشديد الم يعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما اسروه
من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن
في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب
او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم
وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن ابن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل
باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت
اربعة لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له

حتى صولحت تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت
ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع
فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما
اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع
ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات الا جهدهم
الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم انه
خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سال عبد الله بن عبد الله بن ابي
رسول الله وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال
عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن
يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا
النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم
للتكثير قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاصبحن العاص وابن العاص
سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت كيف خفي على رسول الله وهو
افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا
العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الاية
فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين
قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورافته
على من بعث اليه كقول ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي
الرحمة والرافة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون
الذين استاذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة
تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم عن الغزو
خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن
معهم ويشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة

لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي
قعدوا لمخالفته او مخالفين له ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين
وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم
في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون
وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان
قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة
فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل
لبعضهم مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب
فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب معناه
فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة
على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا
لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب
من النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون
كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج يعني
الى غزوة بعد غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على
تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين
مع الخالفين قد مر تفسيره وقرا مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين فان
قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل
المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين
هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امراة لا تكاد تعثر عليه
ولكن هي اكبر امراة واول مرة واخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا
اثني عشر رجلا فقيل فيهم ما قيل وروي ان رسول الله كان يقوم على قبور
المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس المنافقين عبد الله بن ابي بعث اليه
لياتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت
اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده

ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت
عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلوة عليه قال له
عمر اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل
فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه
قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم
رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه
عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكن
ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله له
ذلك واجابه الى مسألته اياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على
دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روى
انه قال له اسالك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا تشمت به
الاعدا وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين
غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روى انه قيل له لم
وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا
واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم
الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفا بثوب رسول الله وكذلك ترحمه
واستغفاره كان للدعا الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على
من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطا
قلبه لسانه وراه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلوة عليه
قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين
لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلاة
الا اني اعلم ان رسول الله لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا
بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن
موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد
النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده ولا سيما اذا تراخى ما بين النزولين
فاشبه

فاشبه الشي الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثنا حديثه ويتخلص اليه
وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه ويجوز ان يراد السورة
بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القران والكتاب
على كله وعلى بعضه وقيل هي براة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا هي
ان المفسرة اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا مع
القاعدين من الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز
والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف
هولا فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان
يكفر بها هولا فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك
الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته
ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التا في الذال
ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقا الساكنين
وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بها قراة وهم الذين يعتذرون بالباطل
كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف
وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا
ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن
الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا
فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم
يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعّذرون بتشديد
العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التا لا تدغم في
العين ادغامها في الطا والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق
وقيل اراد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على
قراة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله

ورسوله في ادعائهم الايمان وقرى كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا
منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة النار الضعفاء كالهرمى
والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة نصحوا
لله ورسوله بالايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض
فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين
ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال من الكاف
في اتوك وقد قبله مضمر كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك
قائلا لا اجد تولوا ولقد صح ان الله المعذورين من المتخلفين الذين ليس لهم في
ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة
فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤن
وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض
دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان
كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا
لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو
حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استيناف
كأنه قيل ما لهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام
في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم
بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت
لا اجد استينافا مثله كأنه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا
باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض
قلت نعم ويحسن لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله
قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله تعالى اذا اوحى الى رسوله
الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم
مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على

كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على
حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم
طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم لانهم
انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره
التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل
الى تطهيرهم ومأواهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا
عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في
دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا
عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم
متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب
ابن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه حين قدم
المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف
عنه ابدا الاعراب اهل البدو وهم اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم
وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب
والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع
والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم — اى الاكم
يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم
من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس
يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء المثوبة
عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه وعقبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص
من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعى عليهم بنحو ما دعوا به
كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرى السوء
بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم الدائرة كقولك
رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع
لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد

وغطفان وتميم قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول
القربات عند الله وصلوات الرسول لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين
بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى
وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات
ألا إنها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات
وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق
المؤذن بثبات الأمر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق
الوعد وما أدل هذا الكلام على رضى الله عن المتصدقين وأن الصدقة منه
بمكان إذا أخلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم
عبد الله ذو البجادين ورهطه والسابقون الأولون من المهاجرين هم الذين
صلوا إلى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية
وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا
سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم
عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والأنصار
بالرفع عطفا على السابقين وعن عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم
بإحسان بغير واو وصفة للأنصار حتى قال له زيد أنه بالواو فقال ايتوني
بأبي فقال تصديق ذلك أول الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر والذين
جاءوا من بعدهم وآخر الأنفال والذين آمنوا من بعد وروي أنه سمع رجلا
يقرؤه بالواو فقال من أقرأك قال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله وإنك
لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وإن شئت قلت شهدنا وغبتم
ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال لقد كنت أرانا رفعنا
رفعة لا يبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله
عنهم ومعناه رضي الله عنهم لأعمالهم ورضوا عنه لما أفاض عليهم من نعمته
الدينية والدنيوية وفي مصاحف أهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن
كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من ومن حولكم يعني حول بلدتكم

وهي المدينة منافقون وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها
ومن أهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز أن يكون
جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا
على النفاق على أن مردوا صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا
وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل
بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان
على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل
على مهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم أي يخفون عليك مع فطنتك
وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في أمرهم
ثم قال نحن نعلمهم أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر
في سويداوات قلوبهم إبطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين
من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا
به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر
وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس أنهم اختلفوا في هاتين
المرتين فقال قام رسول الله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك
منافق اخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب
الأول والثاني عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك
أبدانهم ثم يردون إلى عذاب عظيم إلى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم أي لم يعتذروا
من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس
ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر
وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم
أوثقوا أنفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم
على سواري المسجد فقدم رسول الله فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته
كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا
يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم

حتى أمر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي
خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا
فنزلت خذ من أموالهم عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا
عنه عن الحسن والكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل واحد
منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به
لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد
خلط كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك
جعلت اللبن مخلوطا والماء مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن
مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون
من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت
كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم
بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة
وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم
الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية
مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم
واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة
اذا اخذها وعن الشافعي احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله
فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ ان صلاتك على
التوحيد سكن لهم تسكن اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم
والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الغم
والندم لما فرط منهم الم يعلموا بالتاء والياء وفيه وجهان احدهما ان
يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم
ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن
خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وان الله من شأنه قبول توبة التائبين
وقيل معنى التخصيص هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي

تقبل التوبة عن عباده ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهؤلاء
التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما
رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة
فقد روي انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا
بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى
قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود
ان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها
ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار
والذهول عن التوبة وقرئ مرجون ومرجأون من ارجيته وارجأته
اذا اخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم
ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن
مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا
عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم
على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا
امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم
حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب
وارجوا لهم الرحمة في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو
لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو وعلى عطف قصة مسجد الضرار
الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم وروي ان بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي
فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل
والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله الفاسق وقال لرسول
الله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى
يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى

المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك ابن الدخشم ومعن ابن عدي وعامر ابن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان تتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا فاغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لمن حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطا لما فتح الله الامصار على عمر امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببنا هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله

فيه ايام مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصبا فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا ولما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس وقال يا معشر الانصار ان الله تعالى قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الما فتلا النبي صلى الله عليه رجال يحبون ان يتطهروا اي يتطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الما اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشي المشتهي له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه وقرى اسس بنيانه على البنا للفاعل والمفعول واسس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل

قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز
فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف ليتصور ان الباطل كانه اسس بنيانا
على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا
الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه
السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم
والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك
وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله
هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة
الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت فما وجه
ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت
قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي
مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار
فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد
الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته
ان ياذن لمجمع ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد
الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم
اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قاريا
للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيئا فعذره وصدقه وامره
بالصلاة بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما
حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال تعالى ضرارا وكفرا
فلما هدمه رسول الله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على
النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة
في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا
يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا
وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة

باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة
عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في
القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح
التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان
تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو
قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او
كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما
واسفا على تفريطهم مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم
في سبيله بالشرا وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل
لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا
هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن
رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم
قالوا فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر
برسول الله اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله
مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون
فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وقرئ فيقتلون
ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر
مؤكد واخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد
ثابت قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده
من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه
عليهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح ولا ترى ترغيبا في الجهاد
احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين
المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي التائبين بالياء الى والحافظين
نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج

ان يكون مبتدا خبره محذوف اى التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم
يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير
في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر
اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن
هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله
وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون
شبهوا بذوى السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة
العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه قيل قال لعمه ابى طالب انت اعظم
الناس على حقا واحسنهم عندى يدا فقل كلمة تجب لك بها على شفاعتى
فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة
سال اى ابويه احدث به عهدا فقيل امك امنة فزار قبرها بالابواء
ثم قام مستعبرا فقال انى استاذنت ربى في زيارة قبر امى فاذن لى واستاذنته
في الاستغفار لها فلم ياذن لى فنزلت وهذا اصح لان موت ابى طالب كان
قبل الهجرة وهذا اخر ما نزل من القرآن بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل
قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا وذوى قراباتنا وقد استغفر
ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبى ما صح له الاستغفار
في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك
قرا طلحة وما استغفر ابرهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابرهيم لابيه
على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اى وعدها ابرهيم
اباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها
اباه فان قلت كيف خفى على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز
حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز
الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحى
لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله لعمه لاستغفرن لك
ما لم انه عنه وعن الحسن قيل لرسول الله ان فلانا يستغفر لابائه المشركين

فقال ونحن نستغفر لهم وعن على رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له
فقال اليس قد استغفر ابرهيم فان قلت ما معنى قوله فلما تبين
له انه عدو لله تبرا منه قلت معناه فلما تبين له من جهة
الوحى انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره
فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه كلال
من اللؤلؤ وهو الذى يكثر التاوه ومعناه انه لفرط رحمته ورقته
وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله
لارجمنك يعنى امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره
مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام
ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره عليهم
وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا
سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا بيع الصاع بالصاعين قبل
التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل
ورود النهى عنه وفي هذه الاية شديدة ما ينبغى ان يغفل عنها وهو ان
المهدى للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال
والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهى فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر
ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف تاب الله على النبى كقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث
للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار
حتى النبى والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها
عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين
لتظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين
في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة
مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم
قال غداة طفت علماء بكر بن وائل عشية لاقينا جذام وحميرا
فادعنا

إذا أتاه يوما وإن في ثني الغنى والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة
من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد
تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم
الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء
وفي عسرة من الماء حتى نحروا الإبل وعصروا فروثها وفي شدة زمان من
حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ
قلوب فريق منهم عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله
مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم
يريد المتخلفين من المؤمنين كأبي لبابة وأمثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد
ويجوز أن يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلاثة كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى خلفوا تخلفوا عن الغزو وقيل عن
أبي لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أي خلفوا الغازين
بالمدينة أو فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق خالفوا
وقرأ الأعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت أي برحبها أي مع سعتها وهو
مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا
مما هم فيه وضاقت عليهم أنفسهم أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور
لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله
إلا إلى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة
بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا أو ليتوبوا أيضا فيما يستقبل
إن فرطت منهم خطيئة علما منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في
اليوم مائة مرة روي أن ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله منهم من بدا له
وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني أنه كان لأحدهم حائط خير
من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك اذهب
فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال يا أهلاه ما بطأني ولا خلفني إلا الضن بك

لا جرم والله لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر
إلا نفسه لا أهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني إلا حب الحياة لك والله لأكابدن
الشدائد حتى ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن
يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبي ذر الغفاري أن بعيره أبطأ به فحمل
متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله لما رأى سواده
كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده
ويبعث وحده وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت
له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال
ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والحر ما هذا والريح؟
بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه إلى
الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول فاذا براكب؟
الله واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول
الله عليه السلام سلمت عليه فرد كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما
خلف كعبا فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ
الله ما أعلم إلا فضلا وإسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس كلامنا الثلاثة؟
ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا
ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء من ذروة سلع أبشر يا
كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم
الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي
وانطلقت إلى رسول الله فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام إلي
طلحة بن عبيد الله يهرول إلي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك
فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا
كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق
أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين

مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولاً وعملاً او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم
الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل
هم الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب
لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وادخلوا معهم وانتظموا
في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك
وعن ابن مسعود لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه
ثم لا ينجز له اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا
بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء وان يكابدوا معه
الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه
نفسه علماً بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها
وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت
ولا يكترث بها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم
واهونه فضلاً ان يربؤوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا
بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم
عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان
لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم
لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون
مكاناً من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا
يتصرفون في ارضهم تصرفاً يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو
نيلاً ولا يرزؤونهم شيئاً بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك
الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله
وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة
لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج
والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكاناً فمعنى يغيظ الكفار
يغيظهم وطؤه والنيل ايضاً يجوز ان يكون مصدراً مؤكداً وان يكون بمعنى

المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم وينكيهم
ويلحق بهم ضرراً وفيه دليل على ان من قصد خيراً كان سعيه فيه مشكوراً
من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد
اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة
لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي عليه السلام لابني عامر وقد
قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر المهاجر بن ابي امية وزياد بن لبيد
بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند
الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال
ظمئ ظماءة وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة
مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون وادياً اي ارضاً في ذهابهم ومجيئهم
والوادي كل منفرج من جبال وآكام يكون منفذاً للسيل وهو في الاصل
فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض
يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع
الوادي ويجوز ان يرجع الضمير الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب
اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة
عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد
الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل
مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر
من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها
وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار
قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة
ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط
في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضاً
وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر

كلهم
أو شرذمة جيشوا بين يديه وتمالكه على ان يكون حوطا العقب من الناس
فما بعد نصولا من قوله تعالى لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا العلم عذرون
ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله
كان اذا بعث بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد بعثنا
استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي
والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد وتبقى اعقابهم
يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة
اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية
بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم
النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير
للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع
كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر
عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا
الشام وقتلهم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقتل الروم لانهم كانوا يسكنون
الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على كل ناحية
ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل
عن قتال الديلم فقال عليكم بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث في الغلظة كالشدة
والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهي
تجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ونحوه ولا
تاخذكم بهم رافة ان الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم تر رافة على عدو فمنهم
من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا
انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي
والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرئ عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار يفسره
زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين
والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان

يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم
كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم
وتضاعف عقابهم وقرئ اولا ترون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض
والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون
ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون
امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون
العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى بعض
تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين
لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح او
ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد
وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعا عليهم
بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم
لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي
قرشي مثلكم ثم ذكر ما تتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه
ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه
فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج
احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن
غيركم رؤوف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول
الله وفاطمة وعائشة وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله
في قوله رؤوف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن
بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ
العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب آخر
آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله عليه ما نزل علي القران الا
آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي
ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف
على طريق التحدي تلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب
السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه
قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها
الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرا ابن
مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبره وهو معرفة كقوله
يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا
من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه
وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة
يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس
في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا
من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله
لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر
بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين
الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم
ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب
الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك
الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء
على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب
والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء
فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس
على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوفة قدم صدق
عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت
السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة

المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى
صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق
ان هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرا الساحر فهذا اشارة الى
رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا
وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة
ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه
ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش
فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على
عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت
يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة
وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا
من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي
ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة
منكم فاعبدوه وحده فلا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا
عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطا
فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا
للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد
لقوله وعد الله انه يبدا الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب
المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء
المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدا الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل
الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى
اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدا
ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق كقوله

احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا على رقيب وقرئ حق انه
يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق
بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا
وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلته قوله بما كانوا
يكفرون الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء
بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء
اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او وقدره
ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات
من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا
بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء وخص
المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم
المذهلة باللذات وحب العاجل عن النظر عن الحقائق او لا يأملون حسن
لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا
بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا ينزعج فبنوا شديدا
واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على
سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتها الانهار بيانا له
وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في
الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة
حسنة فيقول انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره
صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان
قلت فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية
والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح

والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت
الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان
الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل
الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه
اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد
ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا
تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس
بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند
البيت الا مكاء وتصدية واخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان
يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا
بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله
لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله وانه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله
ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد اصله على
ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله
لهم الشر اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم
بالخير تعجيل له والمراد اهل مكة وقوله وامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو
عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم
لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله تعالى
وينصرها قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان قلت وكيف اتصل به
قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله
متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم
في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم
لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او
قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور
لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها

كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان
قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها
والفسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب
والمسحة خ
الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام
وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس مر اى
مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد واستدفاع البلاء لان
الانسان للجنس او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له
به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان
كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته والله تعالى
بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات
لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم
رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا
يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني
وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون
على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم
الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل
كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة
على اجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين
بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اى استخلفناكم في الارض بعد القرون التي
اهلكناها لننظر اتعملون خيرا ام شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف
في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم
عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة
قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا
شبه بنظر الناظر وعيان المعاين غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة
الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك

نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم
عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو
ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل ويسقط ذكر الآلهة واما الاتيان
بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء
من غير ان يامرني ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو
ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت
آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت
ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت
اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا
قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء
لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول
ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها
اذا عجزوا عنه كان الواحد اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن
غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون
لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت
ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح
قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك
وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير
فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا
منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه
على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه
امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع
ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم
كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم

مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان ومما يكون ناطقا بالغيوب
التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا
يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب
الناس منه والصقهم به ولا ادراكم ولا اعلمكم به على لساني وقرا الحسن ولا
ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته
ويعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادراتكم به بالهمز
وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبات بالحج ورثات الميت
وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الا ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت
همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادراته اذا جعلته دارئا
والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصما تدرءونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير
ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم
ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه
الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا
بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا
من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه
افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت
قولهم ائت بقران غير هذا من اضافة الافتراء اليه ممن افترى على الله كذبا
يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان
يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان
التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا
عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا
على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة
وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر
بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى اتنبئون الله بما لا
يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له

وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه
فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت كيف انبأوا الله بذلك قلت
هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان
الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق
به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون الله بالتخفيف
وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف
معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون ما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء
الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين
على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل
وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من
ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه
وتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه
الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية
من ربه ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما
انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها
وكفى بالقران وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة
المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه آية قط حتى
قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد
وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا
علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه
الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم
الآيات سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم
رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله
ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرى جوابها وهي للمفاجأة والمكر
اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم

حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح
قوله اسرع مكرا قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال
واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل
ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى
والمعنى ان الله دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون
في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا
لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم
قولهم سقينا بنوء كذا قرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في
الارض فاذا انتم بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون في الفلك
غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك قلت
لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة
بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان
كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك
والدعاء بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان
قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك
فهو ملتبس به فان قلت فما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة
قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم
الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة
ياء النسب قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز
ان يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين
للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلكي ايضا
لان الفلكي يدل على الفلك جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير
للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو
بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون
حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول يعني

في الارض يفسدون فيها ويعيثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح
اذا ترامى الى الفساد فان قلت فما معنى قوله بغير الحق والبغي لا
يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم
دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله ببني قريظة قرئ متاع
الحيوة الدنيا بالنصب فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت
كان المتاع خبرا للمبتدأ الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم
ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض
منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه
انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه
قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي عليه السلام لا تمكر ولا تعن
ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا
ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه
عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين
الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن
عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين لاخيه
يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ... فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه اعاليه واسفله
وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله
تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة
تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه
حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط
به فاشتبك بسببه حتى خلط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت
كلام فصيح جعلت الارض اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت
الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين
واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت
على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت

وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون
لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم
واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها شبيها بما يحصد
من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم
ينبت على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى
وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع
وعن مروان انه قرا على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى
طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل
كان لم تغن انفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام
السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم
الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان
اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد
كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من
فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس
الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها
الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن
شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم
فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى
وجه الله وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا يا
اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو
احب اليهم منه لا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا
اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا
بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة فان قلت
ما وجه قوله والذين كسبوا السيات جزا سيئة بمثلها قلت

كيفه

قلت لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا
كانه قيل وللذين كسبوا السيات جزا سيئة بمثلها على معنى جزاوهم
ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول
لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل
على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله
ودل ثمة باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء
من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة
الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا
بالسكون من قوله بقطع من الليل جعل مظلما صفة له وتعضده قراءة ابي بن كعب
كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما
حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل
ان من الليل صفة لقوله قطعا وكان افضاوه الى الموصوف كافضائه الى الصفة
واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى
تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا
وشركاوكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه
ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم
والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف
وتبرا شركاوهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى اين شركاوكم الذين كنتم
تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره
وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم
ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون
الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في
ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق

ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول
أم مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليعرف حاله ومنه قوله
تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أي نختبرها
باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا
فهي سعيدة وإن كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر
كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو
العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تتلوا أي
تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق
النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر مولاهم الحق ربهم الصادق
ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم
وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا
إلى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد
لله أهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم
شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة من السماء
والأرض أي يرزقكم منهما جميعا ثم تختص برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته
ويوسع رحمته من يملك السمع والأبصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما
على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما من
الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته
وحفظه ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص
أفلا تتقون أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده
من الضلال ذلكم إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله ربكم الحق الثابت
ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر يعني أن الحق والضلال لا واسطة
بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق إلى الضلال
وعن التوحيد إلى الشرك وعن السعادة إلى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق
حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أي تمردوا في كفرهم كما حق وثبت أن الحق

بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق وكذلك حقت كلمة ربك على الذين
فسقوا أي تمردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه وأنهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله
أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب
وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون فإن قلت كيف قيل لهم
هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالإعادة قلت قد
وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابرا
رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في إنكارهم
لها منكرون أمرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه
قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنه لا
يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم يقال هداه للحق
وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى
بمعنى اشترى ومنه قوله أم من لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها
مع تشديد الدال والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت
لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ إلا أن يهدي من
هداه وأهدى للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه أن الله وحده هو الذي
يهدي إلى الحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة
التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع
فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح
وعزير يهدي إلى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي إلى الحق هذه الهداية
أحق بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا
أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه
إلا أن يهدى إلا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن
ينقله الله من حال إلى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون
بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله إلا ظنا

لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق
وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها
شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما
يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ بالتاء وما كان هذا القرآن
ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب
المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله وهو الحق
مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح ان يفترى
وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل
الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم
فان قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو
داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه
الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين
وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل
ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه
بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم
واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على
وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة
مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة
اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة
به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان ياتي بمثله لا يقدر
على ذلك احد غيره فلا تستعينوا وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان
كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه
في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا
على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة

دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ
عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة
انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه
من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد
ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما ياتهم تاويله
قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل
تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع
الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليعلم انهم علموا بعد علو شانه
واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا
عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب
الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها وغير انصاف
من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون
ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب
معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب
اي فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز
وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به
من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه
لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر
وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك
ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك
فقل اني بريء وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه
ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون
ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم
لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم

لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت
فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وتحسب انك تقدر على
هدايته العمي مع الحمق مجهود البلاء يعني انهم في الياس من ان يقبلوا ويصدقوا
كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله افانت افانت دلالة على
انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله بالقسر والالجاء كما لا يقدر على
رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل
الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم
من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب
ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق
بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكن ظلموا انفسهم
باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من نهار يستقربون وقت لبثهم في
الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا
كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف
بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف
موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث
الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله
كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا
قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من
الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر
وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه
قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان
نريكه فنحن نريكه في الآخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون
في الدنيا فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها
ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرا

والوضيعة الخسران

ان ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على
افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة
عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم
الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم
اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون
كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول
تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا
من العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة
او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف
املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل
مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم
لا محالة فلا تستعجلوا وقرا ابن سيرين فاذا جاء اجالهم بياتا نصب على الظرف
بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت
لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون
كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب
ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون والضمير في منه للعذاب والمعنى
ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء تستعجلون
منه وليس شيء يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي
شيء هول شديد يستعجلون منه ويجوز ان يكون من للبيان في هذا الوجه
وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب
الشرط قلت تعلق باراتيم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه
المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا
الخطا فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت

أريد به الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان
يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا
ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط
كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارأيتم وان يكون اثم اذا ما
وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا
والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول
حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى
اوامن اهل القرى الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع
العذاب الآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون
لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ الان بحذف الهمزة التي
بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر
قبل الآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام
على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء
لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو
الحق لا الباطل او هو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود اي
بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم
يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم
بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على تقدير ولو ان
لكل نفس ظالمة في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع
منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى
ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم
بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر
وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا
ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم
للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى
جامدا مبهوتا

وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء وخوفا من توبيخهم
وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء
لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة
اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس هنالك تجلد وقضي بينهم
اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك
كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر
على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان
الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم موعظة اي قد
جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء
اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به
منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير
للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى
الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق
منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز
ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ
فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله فيما روي عنه
لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع
الى ذلك فرحتما يجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله تلا قل بفضل
الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وبرحمته ما وعد عليه ارأيتم اخبروني وما انزل
الله ما في موضع النصب بانزل او بارأيتم في معنى اخبرونيه فجعلتم منه حراما
وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام
كقولهم هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على
ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بارأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني
آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في

في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل
اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا
عن التجوز فيما يسأل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه
وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد اتقان وايقان ومن لم يوقن
فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله يوم القيمة منصوب بالظن
وهو ظن ما يفعل فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه
وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرأ
عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به
على لفظ الماضي لانه كائن فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس
حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا
يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شأن ما نافية
والخطاب لرسول الله والشأن الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شأنت
شأنه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لان تلاوة القرآن شأن
من شأن رسول الله بل هو معظم شأنه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل
من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله تعالى
ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما
يعزب قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على
نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل
من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف
اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل فان قلت
لم قدمت الارض على السماء خلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم على
الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل

ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف
بالواو حكمه حكم التثنية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في
الحيوة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله
سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة
وعن ابن عباس الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر سمعت
النبي عليه السلام يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء
والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم
فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها
فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس
ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح
او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا
ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي عليه السلام هي الرؤيا
الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله يعمل
العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى
عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا
تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالجنة والفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم
واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل
لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول
لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا
يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم
في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك ان العزة استئناف
بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة

والقهر لله ملك الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك
عليهم كما قال كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ ابو حيوة ان العزة
بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره
فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة به هو السميع العليم بنيتهم ما يقولون
ويعلم ما يدبرون بعضهم من غيلته وهو مكافيهم بذلك من في السموات ومن في الارض
يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء
اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد
منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون
له ندا او لا شريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم
او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون
شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله
في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون
ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى
الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون
وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على
من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم
وقرأ علي بن ابي طالب تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام
اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون
الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء
المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه
على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه
بالعبادة فانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم
من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم

ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر متدبر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد
وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لانما يطلب به الولد من يلد
وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه
منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد
منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء
حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك
ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله
ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان
عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد
اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث
يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد
بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على
الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما يقول فعلت
كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه او قيامي ومكثي
بين اظهرهم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او قيامي وتذكيري لانهم كانوا
اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم
مسموعا كما يحكى عن عيسى انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم
وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما
وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ الحسن
وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وكان من غير تاكيد بالمنفصل
لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ
فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى
مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز
اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا
شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم

الذي لا يكون عليه غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني
فاجمعوا اما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي
وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته
وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له
وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني
لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم علي غمة اي غما وهما والغم والغمة
كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة
من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي ولا تستر ولكن يجاهر
بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا
تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه
وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم
عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلون وقرئ ثم
افضوا الي ... بالفاء بمعنى ثم انتهوا الى بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا
خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن
تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني
لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب
الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا
وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون
به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد
ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط
منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك
لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتمموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في
آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك
بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له

ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا
فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما
كان ايمانهم الا ممتنعا لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا
به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق
فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد
كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار
مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند
اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع
فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة
ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي
آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق
من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق من عند الله لا من قبل موسى وهرون
قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من
السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم
ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون للحق اسحر هذا قلت
فيه وجهان ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان
عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول
اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم
ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون
وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون
يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا
ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به
الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله
لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات
والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعني عبادة الاصنام وتكون لكما

الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف
بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله
ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك
ويجوز ان يقصد ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال
القبطي لموسى وما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين
اي بمصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ فيطبع ويكون لكما الكبرياء بالياء
ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبره اي الذي جئتم به
هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر
على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو
السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى
لاما أتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على
الشعوذة. لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار
ويحق الله الحق بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيته
فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل
كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا
من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون
والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته
على خوف من فرعون وملئهم الضمير في قوله وملئهم الى فرعون
يعني آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز
ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل
لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه
قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر
وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية
ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا
امركم في العصمة ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله

اي يجعلوها سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط
ونظيره في الكلام ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا
انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم
واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه
فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى
الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب تعذبوننا او يفتنونا
عن ديننا او فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا
تبوءا المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا
بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة
فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة
وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مأمورين
بان يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم
عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف
نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى
وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة
وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ
المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى بالبشارة
التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها زينة ما يتزين به من لباس او حلي
او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى
ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت
فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء
بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انهم لما عرض عليهم آيات الله
وبيناته عرضا مكررا ورددت عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا
وحذرهم من عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر
والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا

الا استكبارا وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول
الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل
تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته
لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى
الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة
وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه
كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله
على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب
المشفق لولده المقبل الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول
نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد
على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعا
الذي هو اشدد او دعا بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على
التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا
وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم دعا معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشي
ائنك اتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قد اجيبت دعوتكما قيل كان موسى
يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاكما
مستجاب وما طلبتما كاين ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه
من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا
ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعا اربعين سنة ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور
بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه اني
اعظك ان تكون من الجاهلين وروي ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها
لالتقا الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التا من تبع وقرا الحسن
وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى

واذا تجوزها حبال قبيله لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا
بني اسرائيل البحر كما جوز السكي في الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال كما قال
تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن وعدوا وروي انه بالفتح على حذف الباء
اي هو صد الايمان وانه بالكسر على الاستيناف بدلا من امنت كرر
المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم
يقبل منه حيث اخطا وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت
المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقا التكليف الان اتؤمن
الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل
قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان تغرق وقيل قاله بعد ان غرق
في نفسه والذي يحكى انه حين قال امنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في
فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم
اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله
وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال
البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاه على الكفر
فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد
لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه
فكتب فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزا العبد الخارج على سيده
الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه
ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر
وقيل نلقيك بنجوة من الارض وروي ننحيك بالحا نلقيك بناحية مما يلي البحر
وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الما الى الساحل كانه
ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك
كاملا سويا لم ينقص منه شي ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس

شكتي

القياد

او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب اعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد
وكانت له درع من ذهب بها وقرا ابو حنيفة بابدانك وهي على وجهين اما ان يعرف
يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد
بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة
وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي
انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه
فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر بني اسرائيل
حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية
ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل
محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون
لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا
على نحو ما اجترات عليه اذا سمعوا احوالك وهوانك على الله وقرئ لمن خلقك
بالقاف اي ولتكون لخالقك آية كسائر آياته ويحتمل ان يراد ليكون طرحك
على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك
ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله
لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك
مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما
تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرؤوا التوراة وكسبوا العلم ولزمهم
الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه مفرق عنه وقيل هو
العلم بمحمد واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته وبعثته
ولقد هو انه ليس هو بعد ما جاءهم العلم والبينات انه هو لم يثبتوا فيه كما
قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان قلت
كيف قال لرسول الله فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي
شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب
باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت شك

امو

بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه
تقديرا فسأل الذين يقرؤون الكتاب والمعنى ان الله تعالى قدم ذكر بني اسرائيل
وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم
في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة
القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا
وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها
بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق
فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث مكمو
يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار
بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه
ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما
اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك
والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب
كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك
ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسال
بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل
خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا
اليك كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه
الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت
في شك فسال يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد
ابراهيم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرؤون الكتب حقت عليهم
كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم
يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد
تعالى الله عن ذلك فلولا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها آمنت

فهلا كانت قرية

عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر
فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت
الاختيار وقرا ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى
لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا ويجوز
ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة
الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل وروي عن
الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل
فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا
المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا
ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلثون ليلة اغامت
السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم
وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها
فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا
فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم
ان ترادوا المظالم حتى ان كان الرجل ليقلع الحجر وقد وضع عليها اساس بنيانه فيرده
وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال
قولوا يا حي حين لا حي ويا محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم
وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل
افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر
والالجاء لامن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين
على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني
انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف
الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو
وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون

عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي
علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس
المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم
عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ
الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر
وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا
يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما
نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال
ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل
عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا
معطوف على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك ننجي
المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس يا اهل
مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه
على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو
اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد
الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى
فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله تعالى امرني بذلك
بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من
ديني وما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال
ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون
من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف
يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان

وان يكون من الحذف غير المطرد وهو نحو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر
فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا
تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا
يصح ان تكون التي للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على
الموصولة يأبى ذلك والقول بانها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ
الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت
قد سوغ سيبويه ان توصل بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل
على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي
دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت
يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك
اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا
سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك
ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع
ولا تضر ان الله تعالى هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر
على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا يشعر
وكذلك ان اراد بك خيرا لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف
بالاوثان فهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله
ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني
قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة
في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به
منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة
في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله
يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة قد تكلم

الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع
باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا
على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل
وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير
واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله بالنصرة عليهم
والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله الانصار فقال انكم ستجدون
بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على
ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال
انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة
وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا
دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال
رسول الله يا معشر الانصار ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال قال
فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان
الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون فمنظروكم
الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم
المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار
حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد
من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال
جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن
قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلادة بالفرائد دلائل

التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولاً سورة سورة وآية
آية أو فرّقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصّل فيها ما يحتاج إليه العباد
أي بيّن ولخّص وقرئ أحكمت آياته ثم فصّلت أي أحكمتها أنا ثم فصّلتها
وعن عكرمة والضحاك ثم فصّلت فرقت بين الحق والباطل فإن قلت ما
معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول
هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصّلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل
ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف وأحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم
خبير صفة ثانية ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون صلة أحكمت وفصّلت
أي من عنده إحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لأن المعنى أحكمها حكيم
وفصّلها أي بيّنها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور ألا تعبدوا مفعول
له على معنى لأن لا تعبدوا ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول كأنه
قيل لا تعبدوا إلا الله أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله وأن استغفروا أي أمركم بالتوحيد
والاستغفار ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي
إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله إنني لكم منه نذير وبشير
كأنه قال ترك عبادة غير الله إنني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير
في منه لله تعالى أي إنني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله أو هو صلة
لنذير أي أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم وأبشركم بثوابه إن آمنتم فإن قلت
ما معنى ثم في قوله ثم توبوا إليه قلت معناه استغفروا من الشرك
ثم ارجعوا إليه بالطاعة أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة
واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع
حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة إلى أجل مسمى إلى أن
يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة
كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه أو فضله في الثواب
والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وإن تولوا وإن تتولوا
عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل ومن عذاب اليوم
الكبير

بأن رجعهم إليه وهو قادر على كل شيء فكان قادراً على أشد ما أراد من عذابهم
لا يعجزه وقرئ فإن تُولّوا من ولّى يثنون صدورهم يزورّون عن الحق
وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازورّ عنه
وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون
ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير إضمار
يريدون لعود المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر
فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم ويريدون
الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضاً كراهة لاستماع كلام الله كقول
نوح جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون
وما يعلنون يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم
إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم
ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان
يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب
رسول الله مجالسته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ
تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء
مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون
وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد
مطاوعة صدورهم للثني كما يثنى الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم
ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت
وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فإن قلت كيف قال على الله رزقها
بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل قلت هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن
يتفضل به عليهم رجع التفضل به واجباً كنذور العباد والمستقر مكانه
من الأرض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعاً قبل الاستقرار من صلب
أو رحم أو بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء أي ما كان تحته خلق

قبل خلق السموات والأرض ارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان
العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض وقيل كان الماء على
متن الريح والله اعلم بذلك ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما
ازدادت الاجرام كانت احوج الى القدرة والى الممسك ليبلوكم متعلق بخلق
اى خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون
النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه
ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد
ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز
تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق
اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا
لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن
عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن واما اعمال المؤمنين
والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا
هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر
واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك
لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي عليه السلام ليبلوكم ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون
بفتح الهمزة ووجهه ان تكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وانك
تشتري لحما بمعنى علك اى ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يعنون القول
بالبعث او القرآن قلت يجوز ان تكون قلت بمعنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان
السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا
الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر
يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الآخرة وقيل
عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة معدودة

الى

الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب
والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر
ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا
على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع
العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي
كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم
كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جرى على عادة الله في اخبار
الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه
تلك النعمة انه ليؤس شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة
قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع
كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله ذهب السيئات عني
اى المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله
من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين آمنوا فان عادتهم
ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون
عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية
واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء
معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات
وكان يضيق صدر رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك
الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم
بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه
اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلو عليهم ان يقولوا
مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اى هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من
الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اى
ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا
عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون

وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك الى الله وعليك بتبليغ الوحي بقلب
فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم
فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق
عارض غير ثابت لان رسول الله كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد
وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث
قلت سائد وجائد ونحوه وكانوا قوما عامرين في بعض القراءات وقول العكلي
بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها ام منقطعة والضمير في
افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير
في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه
قال قد قصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة
منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند
نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا
اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم بكلام
مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر
عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى
وهذا غير مفترى قلت معناه في حسن النظم والبيان وان كان
مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم
فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين
لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا
لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فان شئت حرمت
النساء سواكم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا
لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة
على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا
انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار
بغيوب لا سبيل لهم اليه فاعلموا عند ذلك لا اله الا الله وحده وان توحيده
واجب

واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة
القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا
على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله
وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف اليهم نوصل
اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة
والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ
فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل
فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرئ فقد قيل وعن انس هم اليهود والنصارى
ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن
وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فاسهم لهم في الغنائم وقرئ
يوف بالياء على ان الفعل لله وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول
وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا
كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا فيها وحبط في
الاخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة
اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له
وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية
وينتصب بيعملون ومعناه باطلا اي باطلا كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر
على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه افمن كان يريد الحياة
الدنيا كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين
تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من امن من اليهود كعبد الله بن سلام
وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق
وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد
بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره انفا
ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا
من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب معناه كان على بينة

من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد
كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوا من قبل
القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة
على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر
به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله
فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم ومما الشك منه من القرآن
او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد
عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكاذبون على الله بانه اتخذ
ولدا او شريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين في احرياه وافضحاه
والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا
يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا
بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك
لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم
لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه
ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد
يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد
انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع
ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل
كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا الكلام لا استطيع ان
اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء
انهم جعلوا الهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان
لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم
العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله.

فكان خسرانهم في تجارتهم بالاخسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل
عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه من الالهة وشفاعتها لا جرم انهم
في مكان اخسر هم الاخسرون لا نرى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم
واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت
وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيث قال
ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل التاء فيه
بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المومنين بالبصير
والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان شبه الفريقين
بشبهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب
وان يشبههما بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع
على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله
الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها اي
ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو
قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى
على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول
ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون
مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي
لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت
مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم
وجد جده الملأ الاشراف من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له وقد
ملؤوا بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها
او لانهم متمالئون اي متظاهرون متساندون او لانهم يملؤون القلوب
هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة ما نراك
الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها
في احد من البشر جعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم

في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا
انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر
مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادي الراي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك
اول الراي او ظاهر الراي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول
رايهم ووقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان
اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين
لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون
الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى
اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم
ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده
ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل
لها على ان الانبيا بعثوا مرغبين في طلب الاخرة ورفض الدنيا مزهدين
فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد
من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا
تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارايتم اخبروني ان كنت على بينة
على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده
بايتاء النبوة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة
وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول
فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان
يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى
عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم
فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت
بصيرة ومبصرة جعلت عميا لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت
عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد
فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها

فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها
وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتدا بها
وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جي بضميري المفعولين
متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحو
فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه
ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان
الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية
لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لا اسالكم عليه راجع
الى قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقرئ وما انا بطارد
الذين امنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا
ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه
فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره
منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من
غير نظر وتفكر وما علي ان اشق على قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى
اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية
او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون
تتسافهون على المومنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا
او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه
ان طردتهم وكانوا يسالونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا
معهم على سواء ولا اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول
عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله
فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل
ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافترا او حتى اطلع على ما في
نفوس اتباعي وضماير قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا
ولا احكم على من استرذلتم من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم خيرا في الدنيا والاخرة

الظالمين
لقولهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذن لمن
ان قلت شيئا من ذلك والازدرا افتعال من زرى عليه اذا عابه
وازرى به قصر به ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت
معناه اردت جدالنا وشرعت فيه واكثرته في قولك جاد فلان
فاكثر واطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل انما يأتيكم به الله اي ليس
الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شا ان
اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس فاكثرت جدلنا فان قلت
فاوجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم
جزاوه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل
بشرط كما وصل بالجزا بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك
ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم
قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه
سمي ذلك اغوا واضلالا كما انه اذا عرف منه ان يتوب ويرعوي فلطف
به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل
اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا
ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي اجرامي
واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو
جرم واجرام قفل واقفال ويعضد الجمع قراءة الاولين بآثامي والمعنى
ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي
حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبوا علي وانا بري يعني ولم يثبت
ذلك وانا بري منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافترا
الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه
كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد امن الا من قد وجد منه ما كان
يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا
تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله اقبل غير مبتئس

يقال

منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك
ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم باعيننا في موضع الحال
بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا
تكلاه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه
ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف
صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر
ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شانهم واستدفاع العذاب
عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب
ذلك وقضي به القضا وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض
عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في
ابعد موضع من الما وفي وقت عز الما فيه عزة شديدة وكانوا يتضاحكون
ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعني
في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم
اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا
فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه
فانتم اولى بالاستجهال منا وان تستجهلونا فانا نستجهلكم في
استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر
الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون
ذراعا وطولها في السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج
وجعل لها ثلث بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام
وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى
مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا
بين الرجال والنسا وعن الحسن كان طولها الف ومائتي ذراع وعرضها

ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا
عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه
قال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى
عم اهكذا هلكت قال لا ولكن مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة
فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع
وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة
للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من ياتيه
في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني به
اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين
والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى هي
التي يبتدا بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزا فان قلت
وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى
ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما
بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه
كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت
انت بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استيناف على تقدير سؤال سائل
او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملا وقال جوابا واهلك عطف
على اثنين وكذلك ومن امن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى
من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك
الا للعلم انه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك
قال الضحاك اراد ابنه وامراته الا قليل روي عن النبي عم انه قال كانوا ثمانية
نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة
رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام
وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم

نسا ويجوز ان يكون كلاما واحدا والكلام الواحد ان يتصل باسم الله باركبوا
حالا من الواو بمعنى اركبوا مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها
ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران
كالاجرا والارسا حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم
الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجرا والارسا وانتصابهما بما في اسم الله من معنى
الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان اما ان يكون بسم الله مجراها ومرساها
جملة من مبتدا وخبر اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه اذا
اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها
اي بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى
اما مصدران او وقتان او مكانان وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ
اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك
جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا امرهم بالركوب ثم
اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون
غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاونا بهم سكر علينا
فلا يكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب
الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير
كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم
لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت
بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله
وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه
كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما
يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الما قد التقى وطبق ما بين
السما والارض وكانت الفلك تجري في جوف الما كما تسبح السمكة فما معنى
جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يعم الطوفان

الجبال الا بوا الى قوله انه سآوي الى جبل يعصمني من الما قيل كان اسمه كنعان
وقيل يام وقرا علي ابن ابي طالب ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروه
ابن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحه عن الالف وبه
ينصر مذهب الحسن قال قتاده سالته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله
حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان
ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم
يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمه
لرسول الله وان يكون لغير رشده وهذه غضاضه عصمت منها الانبيا
عليهم السلام وقرا السدي ونادى نوح ابناه على الندبه والترثي اي قال
يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان
عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المومنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه
يا بني قرئ بكسر اليا اقتصارا عليه من يا الاضافه وبالفتح اقتصارا
عليه من الالف المبدله من يا الاضافه في قولك يا بنيا او سقطت اليا والالف
لالتقا الساكنين لان الرا بعدهما ساكنه الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى
او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المومنين
وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل
عاصما من الما قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم
واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينه وقيل لا عاصم بمعنى
لا ذا عصمه الا من رحمه الله كقولك ما دافق وعيشه راضيه وقيل الا من رحم
استثنا منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به
من علم الا اتباع الظن وروي الا من رحم على البنا للمفعول ندا الارض والسما
بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب
من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سما ثم امرهما بما يومر به اهل التمييز
والعقل من قوله ابلعي ماك واقلعي من الدلاله على الاقتدار العظيم وان
السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقاده لتكوينه فيها ما يشا

غير ممتنعه عليه كانها عقلا مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وجبروته
وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم
وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له
والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور
به مفعولا لا حبس ولا ابطا والبلع عباره عن النشف والاقلاع الامساك
يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الما من غاضه اذا نقصه وقضي
الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينه
على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا
البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعا
السو ومجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلاله على الجلال والكبريا
وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر
وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره
يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان
تستوي السفينه على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره
ورقصوا — ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علما البيان هذه الايه ورفعوا
لها رووسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي
الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازا تلك المحاسن التي هي اللب
وما عداها قشور وعن قتاده استقلت بهم السفينه لعشر خلون من رجب
وكانت في الما خمسين ومايه يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط
بهم يوم عاشورا وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه
الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا
شكرا لله تعالى ندا ربه دعاه وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضا وعده
في تنجيه اهله فان قلت فاذا كان الندا هو قوله رب فكيف
عطف قال رب على نادى بالفا قلت اريد بالندا ارادة الندا
ولو اريد الندا نفسه لجا كما جا قوله اذ نادى ربه ندا خفيا قال رب

ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو
بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي
لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي
وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره
الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في
زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر
ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل
دارع من الدرع وتامر ولابن على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل
لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب
وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا
وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان
امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة
في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام
اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل
انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي
يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله
لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه
ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم
يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن
بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا
تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف
على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف
عليه فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت
قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة
اهله في وقت مشارفته الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف

كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين
فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا
فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد
عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة
وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان
الله تعالى قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم
فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح
وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه
من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان
لا يشتبه اني اعوذ بك ان اسألك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا
بآدابك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة
علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا
مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك
ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على
التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين
كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب
منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر
الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر
محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك
يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون
ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح
عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة
وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة
ودخل فيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله
راض عنهم ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل

المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة
نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة
بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل
هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته
بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك
كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك ما قيض لنوح ولقومه
ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه
ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم
ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا
اهل بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا
عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر
صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان
له شركاء ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة
لا يمحضها ولا يمحصها الا حسم المطامع وما دام يتوهم منها لم تنجع ولم تنفع
افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب
الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا
اليه عن عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور
كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة
القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها
اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة
والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية
وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر
ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي انه وفد على معاوية
فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني
شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار
حتى

حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك
معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل
فقال الم تسمع قول الله حكاية عن قول هود يزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح
ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه مجرمين
مصرين على اجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم
وجحود كما قالت قريش لرسول الله لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته
الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا
صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك
فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك مفعول نقول والا
لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك
بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك
بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس
بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبالا وجنونا وهم عاد اعلام
الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم متظاهرين بالاسلام سمعناهم
يسمون التائب عن ذنبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم يصفون
على عشر ما كانوا عليه في ايام جاهليتهم من الهوادة وما ذاك الا لومهم الجاد
ابى ان لا ينبض وحيت من النبهة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم
المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت
ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال
على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم
ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه
بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة
وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال
نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم
ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد

يقول الرجل الله شهيد على انى لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على انى
لا افعله فان قلت هلا قيل انى اشهد الله واشهدكم قلت
لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد
وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة
بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجئ به على لفظ الامر
بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على انى لا احبك
تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دون
الله او مما تشركونه من آلهة من دونه اى انتم تجعلونها شركاء ولم يجعلها
هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدونى جميعا انتم وآلهتكم اعجلوا ما تفعلون
من غير انظار فانى لا ابالى بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علىّ
وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرنى آلهتكم وما هى الا جماد لا تضر ولا تنفع
وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلنى وتذهب
بعقلى ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما
يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته
وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربى على
صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل فى ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع
عنده معتصم به فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان
قبل التولى فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا
لم اعاتب على تفريط فى الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم
فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف
يريد ويهلككم الله ويجئ بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم واموالكم ولا
تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع
وانما تضرون انفسكم وفى قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه
عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرنى ويستخلف قوما
غيركم ولا تضروه الا انفسكم على كل شئ حفيظ اى رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه

اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت
تفتقر الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين آمنوا معه قيل كانوا
اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر
اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت
تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث عليهم السموم وكانت تدخل
فى انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية
من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا بسبب الايمان
الذى انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال
سيحوا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال جحدوا
بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله
لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد
يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم
ولما كانوا تابعين دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على
وجوههم فى عذاب الله والا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل
لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء
بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم
كانوا مستاهلين له الا ترى الحقوها اخوتى لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا
قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة فى هذا البيان والبيان
حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل
فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة
التى هى قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشأكم من الارض لم ينشئكم
منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب
واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه
وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار
الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبى من انبياء زمانهم ربه

عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن
ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في اخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول
القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض اثار وقيل استعمركم
من العمر نحو استبقاكم من البقاء وتستعملن من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون
استعمر في معنى اعمر كقوله استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها
دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم
معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه
يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه
وسأله قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا
نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت
بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا
نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه
يعبد اباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق
النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد
المجازي قال ارأيتم ان كنت على بينة واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت
ربي في اوامره فمن يمنعني من عذابه فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير بغير ان تخسروا
اعمالي وتبطلوها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم
اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون اية نصب على الحال عملها فيها ما دل
عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت بم تتعلق لكم قلت باية
حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت
على الحال عذاب قريب عاجل لا يتأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك
ثلثة ايام ثم تقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى
البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب
الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا
وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع

في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله يوم شهود من قوله
ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للموعود نفي بك فان اوفى به فقد صدق
ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول
وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ بفتح الميم لانه مضاف الى
اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف
قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم
من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته
ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ
يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة وقرئ الا ان ثمودا او ثمود
كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف
والتانيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل وملكان معه
وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى
مع البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما
امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام
وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء فما ابطأ في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة
وتسمية العجل والعجول بلغة اهل السراة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي
بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت
عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين نكرهم وانكرهم واستنكرهم
ومنكرهم قيل في كلامهم وكذلك انكر ونكر واستنكر في انكر قال الاعشى
وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل
في طرف من الارض فخاف ان يريدوه بمكروه وقيل كانت عادتهم انه اذا
مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة
ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا
ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم

ولم يعرف فيم أرسلوا فأوجس فأضمر وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف
والتغير في وجهه أو عرفوه بتعريف الله أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب الخوف
لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر
تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته
قائمة قيل كانت قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك
أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب وقيل كانت
تقول لإبراهيم أضمم لوطا ابن أخيك إليك فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت
سرورا لما أتى على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الأعرابي
فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفعه بالابتداء كأنه قيل ومن وراء إسحق يعقوب
مولود أو موجود أي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي أنه قيل له
هذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا
له إسحق ومن وراء إسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
الألف في يا ويلتا مبدلة من ياء الإضافة وكذلك في يا لهفى ويا عجبا وقرأ الحسن
يا ويلتي بالياء على الأصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الإشارة وقرئ شيخ
على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا بعلي هو شيخ أو بعلي بدل من المبتدأ
وشيخ خبره أو يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة وإبراهيم
مائة وعشرون سنة إن هذا لشيء عجيب أن يولد ولد من هرمين وهو
استعجاب من حيث العادة التي أجراها الله وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها
فقالوا أتعجبين من أمر الله لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور
الخارقة للعادات وكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات
في غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة
صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه وأمثالها
مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان
عجب وأمر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف
علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من

من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم
وكلهم من ولد إبراهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير
الإحسان إليهم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لأن أهل البيت
مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن الروع ما أوجس من الخيفة حين نكر
أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى
بدل الغم أخذ يجادل له فإن قلت أين جواب لما قلت هو محذوف
كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال
على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت ثم ابتدأ
فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وإنما جيء به مضارعا
لحكاية الحال وقيل إن لما ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى
الاستقبال وقيل معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا
ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون
رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ
العشرة قالوا لا قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند
ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله في قوم لوط في معناهم
وعن ابن عباس قالوا له إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة
ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف إنسان
إن إبراهيم لحليم غير عجول على كل من أساء إليه أواه كثير التأوه من الذنوب منيب
تائب راجع إلى الله تعالى بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة
والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا
لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه يا إبراهيم على إرادة القول
أي قالت الملائكة أعرض عن هذا الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه إنه قد
جاء أمر ربك قضاؤه وحكمه والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال
ولا دعاء ولا غيره لكن ساء لوطا وضاق ذرعه لأنه حسبهم إنسا فخاف
عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي أن الله تعالى قال لهم

لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى
منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها
لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم
بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصبصب
اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون يسرعون كانما يدفعون
دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش
ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك
جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حيا وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في
عمل الفواحش قبل ذلك هولاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية
الكرم واراد هولاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جايزا
كان زوج رسول الله عليه السلم ابنته من عتبة ابن ابي لهب وابي العاص بن وايل قبل الوحي
وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا
ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال ابن جني ابن مروان في لحنه
وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان
انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هولاء من معنى الفعل كقوله هذا
بعلي شيخا او ينصب هولاء بفعل مضمر كانه قيل خذ هولاء وبناتي بدل
ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع
بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه
فصلا وذلك ان يكون هولاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا
كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحيا في ضيفي
في حق ضيفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل او جاره فقد اخزي الرجل وذلك من
عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى
سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزوني بطرح النون ويجوز
ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه

اراد تمكن في لحنه اي ما
كان في ذلك منه عن سهو

لما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فتركوا
له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينهم وبينه
ثم قالوا لقد علمت يستشهدون بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا
وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا
لتواطيهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك
قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي
نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم
ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله
ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت
يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا
اضطلع به ولا استقل والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي
استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل
في شدته ومنعته ولذلك قالت الملايكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد
وقال النبي صلعم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب
باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني
وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم ما حكى
الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملايكة ما لقي لوط من الكرب
قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا
واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام
في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در
منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم
كما قال الله تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون
النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي
قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فاسر قرئ
بالقطع والوصل الا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال متى موعد هلاكهم قالوا

[illegible]

الصبح قال أريد أسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبُح بضمتين فإن قلت
ما وجه قراءة من قرأ إلا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فأسر بأهلك
والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن ينتصب
عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع
فأبدلها عن أحد وفي إخراجها مع أهله روايتان روي أنه أخرجها معهم وأمر أن
لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فأدركها حجر فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم
فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين عاليها سافلها جعل جبريل
جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح
الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك
كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين
ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجيل
منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في إثر بعض
متتابعا مسومة معلمة للعذاب وقيل يرسل بعضه في إثر بعض وعن الحسن
كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعلم أنها ليست من حجارة الأرض وقيل
مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لأهل
مكة وعن رسول الله أنه سأل جبريل فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض
حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون
عليها في مسايرهم بشيء بعيد ويجوز أن يراد وما هي بمكان بعيد لأنها
وإن كانت في السماء وهي مكان بعيد إلا أنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقا
بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه إني أراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف
أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوا عنكم
ما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فمن ينصرنا من بأس الله
إن جاءنا يوم محيط مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو فإن
قلت وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها قلت

بل وصف اليوم بها لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد
اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه فإن قلت
النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله أوفوا قلت نهوا أولا
عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح
نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول
مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط أي
ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو
الواجب لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه وفيه توقيف على أن
الموفي عليه أن ينوي بالوفاء القسط لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل
فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير
وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء
يباع شيئا كما تفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس وكانوا ينقصون من
أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الأرض نحو السرقة والغارة
وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم في الأرض بقية الله
ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم إن كنتم مؤمنين بشرط أن
تؤمنوا وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الأرض وهم كفرة
بشرط الإيمان فإن قلت بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعة
البخس والتطفيف فلم شرط الإيمان قلت لظهور فائدتها مع الإيمان
من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها
في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد
ما يبقى لهم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند
ربك وأضاف البقية إلى الله من حيث إنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه وأما الحرام
فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقا وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ
تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما أنا عليكم
بحفيظ وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغا ومنبها

على الخير وناصحا وقد اعتذرت خير اعتذار كان شعيب عم كثير الصلوات
وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك
تأمرك السخرية والهزء والصلاة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز
كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان
الصلوة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعوا اليه وتبعث عليه الا انهم
ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته
وارادوا ان هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته
وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يأمرك
به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلاتك التي تداوم عليها في ليلك
ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون
من بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك بتكليف ان نترك ما
يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل
غيره وروي اصلاتك بالتوحيد وقرا ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشا
بتا الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع
بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير
وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية الغي
والسفه فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال
لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك
يعنون ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني منه اي من لدنه رزقا
حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حلالا طيبا من غير
بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارايتم وما له لم يثبت كما اثبت
في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته
في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت
على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا
آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبيا لا يبعثون الا لذلك

الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا
ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتسأله عن صاحبه فيقول
خالفني الى الما يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله
تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم
عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة
استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من
الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا له كقوله ضعيف النكاية
اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي
الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا
لرضى الله تعالى الا بمعونته وتأييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء
الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد
للكفار وحسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد
والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته
اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم
شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير
بضم اليا من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول
من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال فكما
لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا
واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة
افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه
على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا
وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن
كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم

أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم في الكفر
والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على
ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه قلت إما أن يراد وما
إهلاكهم ببعيد أو وما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى
في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي
هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل
البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم
كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم
أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا
ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه
ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف
لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان ألثغ فينا ضعيفا لا قوة لك
فينا ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها
وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا
كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل إنا
لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لان الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه
حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وإنما
قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم
وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما أنت علينا بعزيز أي لا تعز علينا
ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك
لانهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره
حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا
بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم أرهطي أعز عليكم
من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام
واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطي أعز عليكم

من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه
كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا
يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره
قولهم في النسبة الى الأمس إمسي بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علما فلا
يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تعدوا المكانة من المكان يقال
مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى
اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين
من عداوتي مطيقين لها إني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد
والتمكين من يأتيه يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها
كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون
موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب
يخزيه والذي هو كاذب فان قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها
في سوف تعلمون قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع
للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال
مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال
سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة
كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من
أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما أقول لكم إني معكم
رقيب أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى
الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير
والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على
مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه
عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن
هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما

كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت
ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان
بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله
ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول
وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة
وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف
قصة على قصة الصيحة اللاتي لمكانه لا يدعم كالآية بد يعني ان جبريل عليه السلام
صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو فجأة كان لم يغنوا
كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك
كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرأ السلمي بعدت بضم العين
والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد
من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا
وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى من غير تخصيص كما
يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله
كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين والمراد ان هذه الآيات
فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين
العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه
على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك
لانه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر
الذي لا يأتي الا من شيطان مارد فمثله بمعزل عن الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه
وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد
اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع
العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا
الآيات والسلطان في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا
عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان

قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله
وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد ويكون قوله يقدم قومه
تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد
يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما يستعمل الغي في كل ما يذم ويستسخط
ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه
ومنه مقدمة الجيش فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم
جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه
قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورود والمورود الذي وردوه
شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل
بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد
الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون
في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في
الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس
العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ
بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق
وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت
ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا
اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت
ان ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب
بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره
اوقعه في الخسران محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب
فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال
من القرى اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة
عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل ظالم
غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد

فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة
بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج
مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود
فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع
باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت
لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة
على ثبات معنى الجمع لليوم وانه لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له
وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم
لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن
الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم
ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب
والثواب والعقاب ويوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يوم يشهد فيه
الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه
ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود
فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله
مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض
وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتمييزه من بين الايام فان جعلته مشهودا
في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى
يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها
ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها
كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا
لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم
فيه يعني من كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته
مفعولا

ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب
عنه المسافر والاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى
الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة
التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره
الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معلومة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره
بالياء يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف
الياء والاجتزاء بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل
يأتي ما هو قلت الله تعالى كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
او يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز
ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم فان قلت
بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر
واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي
فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا
لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله
وشدائده لا تكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل
له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون
عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم
على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم منهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكر
لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله
مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لاسائته والسعيد الذي
وجبت له الجنة لاحسانه قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم
كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ
بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دام السموات

والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الاخرة وارضها وهي دايمة مخلوقة
للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشا ولانه لا بد
لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سما يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك
فهو سما والثاني ان يكون عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما
دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد فان تعاد / حبد
قلت ما معنى الاستثنا في قوله الا ما شا ربك وقد ثبت
خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثنا قلت هو استثنا
من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون
في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع العذاب سوى عذاب
النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخساه لهم واهانته
اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو
رضوان الله كما قال وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به
عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثنا
والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال
لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي
لا انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول
المجبرة ان المراد بالاستثنا خروج اهل الكباير من النار بالشفاعة فان
الاستثنا الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا
كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين
على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون
فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد
ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان
المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على ان نعقل عنه

ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد
الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو
في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير
هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله
لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما
اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هولا اي فلا تشك بعد ما انزل
الله من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لما اصاب امثالهم
قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون
الا كما يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت
بين الحالين وقد بلغك ما نزل بابائهم فسينزل بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل
النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم
وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم
نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم فان قلت
كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى
وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث
حقه وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
في القران ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى
او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه
يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف
واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله
ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا
بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو
التثقيل وقرئ وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى
الا وفي قراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري
وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما

والمعنى ان كلا ملومين بمعنى جميعا كانه قيل وان كلا جميعا كقوله
فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل
الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك
معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يوكد بمنفصل
لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر
وامن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم
به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه
في جميع القران اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال شيبتني
هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا له قد اسرع فيك
الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه
في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما
الذي شيبك منها اقصص الانبيا وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم
كما امرت وعن جعفر الصادق فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم
ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التا وعن ابي عمرو بكسر التا
وفتح الكاف على لغة تميم في كسر حروف المضارعة الا اليا في كل ما كان
من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرا فتمسكم النار بكسر التا وقرا ابن ابي
عبلة ولا تركنوا على البنا للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول
للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم
ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين
الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو
الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى
الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق
قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله
جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري
السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت

على حال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك
نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق
على العلما قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت
واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك
ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى
باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم
يدخلون الشك بك على العلما ويقتادون بك قلوب الجهلا فما ايسر
ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا
عليك من دينك فما يومنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل
من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ
زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شي في الارض ولا
في السما والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزايرون
للملوك وعن الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن
مسلمة الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هولا وعن رسول
الله صلى الله عليه من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله في ارضه
ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة
ما فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اوليا
حال من قوله فتمسكم النار وانتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم
من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم
منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك
الابقا عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها
الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب
واقتضا حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات
من الليل وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه

وصلوة الغدوة الصبح وصلوة العشي الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي
وصلوة الزلف المغرب والعشا وانتصاب طرفي النهار على الظرف
لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف
النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه وقرئ
واطراف النهار وغرفا وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن
قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر
والزلف بضمتين نحو بسرة وبسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة
وهو ما يقرب من اخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها
على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا
من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله تعالى في بعض الليل ان
الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغاير
بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكباير
والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكون لطفا في تركها كقوله ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية
الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود
من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله
فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه فاخبره بما فعل فقال انتظر امر
ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت نعم
وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله تعالى فاتى
عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس
عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه قال له توضأ
وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى
قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم ارشد الى التذكير
بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية
وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق

بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه
الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة
الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من
الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وحكوا عن الخليل كل لولا في القرآن
فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات
لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم اولوا بقية اولوا فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل
يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان
من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيكم بقيتكم
ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى
البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم
وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه
يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره
والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون
ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه لكن قليلا ممن انجينا
من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها
ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله
تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت
هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته
متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا
لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا
قرا قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على
قراءة القرآن وان قلت تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه
قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا
وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل اتبع الذين

ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم
يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وعقدوا همهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم
والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا
ما ورا ذلك ونبذوه ورا ظهورهم وقرا ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين
ظلموا يعني واتبعوا جزا ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراة المشهورة
انهم اتبعوا جزا اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجا كانه قيل الا قليلا
ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلـــــت علام عطف قوله
واتبع الذين ظلموا قلـــــت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان
معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد
واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزا
الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاهم
فان قلـــــت فقوله وكانوا مجرمين قلـــــت على اترفوا اي
اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد
بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا
مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون كان
بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل
والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها
قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم
وقيل الظلم الشرك والمعنى انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم
مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر
ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل
امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة
واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق
على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار

فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق
غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول
وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف
خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل
بسو اختياره وتمت كلمة ربك هي قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة
والناس لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من
المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك من انبا الرسل ما
نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل
اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك
يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت
فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب
وارسخ للعلم وجاك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانبا
المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من
اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون
وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم
النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية
مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه
امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك
وما ربك بغافل عما يعملون وقرى تعملون بالتا اي انت وهم على تغليب
المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب
ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعدا ان شا الله تعالى ذلك

سورة يوسف مكية وهي مائة واحد عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك
في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين
لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على
العرب معانيها لنزوله بلسانهم او قد بين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة
يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل
يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه انزلنا هذا الكتاب
الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا
لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه
وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لو
لا فصلت آياته القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص
تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا
طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر
في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر
كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن
الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة
على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص
محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب
هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا
القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع
طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي
كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في
القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نقص عليك احسن ما يقص
من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب
التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل
هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص

قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ
منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ
منه آية بعد آية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق
بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله بما اوحينا والمعنى وان
الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين
به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف بدل من احسن
القصص وهو بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص
فاذا اقتص وقته فقد اقتص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي
وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب سوى التعريف
فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها
هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او
المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت
لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية
تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث
أي الأعظم ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس واونس وعن النبي
صلى الله عليه اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن
الكريم يوسف ابن يعقوب ابن اسحق ابن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان
قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء
الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت
كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر
وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ
تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة
يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت
فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد
زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت

فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التا وتبقى التا ساكنة قلت
امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسما حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما
جاز تسكين اليا واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التا فحرف
صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التا
وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم اليا اذا قلت
يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت قلت اليا والكسرة
قبلها شيئان والتا عوض من احد الشيئين وهو اليا والكسرة غير متعرض لها
فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التا واليا لا غير الا ترى الى
قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من اليا كيف جاز الجمع بينها وبين التا
ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت
فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة اليا ولصيقتها فان
دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتا المعوضة وجودها كعدمها قلت
بل حالها مع التا كحالها مع اليا اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرا
بفتح التا وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى
الفتحة قبلها كما فعل من حذف اليا في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة
اليا المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد راى اسما في اخره تا تانيث
فاجراه مجرى الاسما المونثة بالتا فقال يا ابتُ كما تقول يا ثبة من غير اعتبار
لكونها عوضا من يا الاضافة وقرئ اني رايت بتحريك اليا واحد عشر
بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى
تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرويا لا من الروية
لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتماع الكواكب ساجدة
ليوسف في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت
عليه وعلى الناس فان قلت ما اسما تلك الكواكب قلت
روى جابر ان يهوديا جا الى النبي عليه السلام فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي
راهن يوسف فسكت النبي عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال النبي عليه السلام

لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها
يوسف والشمس والقمر نزلن من السما وسجدن له فقال اليهودي اي والله
انها لاسماوها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب
اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة
عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب
عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا
لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له
فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان
بين رويا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت
لم اخر الشمس والقمر قلت ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص
بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل
مطلب وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع
اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رايت
قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سوال وقع جوابا
له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا
عن حال رويتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلا
في رايتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلا وهو السجود
اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشي الشي
من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف
يعقوب دلالة الرويا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه
للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل باباية فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم
والرويا بمعنى الروية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق
بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رياك بقلب الهمزة واوا وسمع
الكسائي رياك وريّاك بالادغام وضم الرا وكسرها وهي ضعيفة لان الواو

وتقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار
والتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك
فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن
معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن
فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر
عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فهو يحمل على الحسد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يومن ان يحملهم على مثله
وكذلك ومثل ذلك الاجتبا يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرويا
العظيمة الدالة على شرف وعز وكبريا شان كذلك يجتبيك لامور عظام قوله
ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك
والاجتبا الاصطفا افتعال من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك وجبيت
الما في الحوض جمعته والاحاديث الرويا لان الرويا اما حديث نفس او ملك
او شيطن وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرويا واصحهم
عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبيا وما
غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها تفسرها لهم وتشرحها وتدلهم
على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال
الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يومنون الله
نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام
النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة بان جعلهم انبيا في الدنيا
وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجا
من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجايه من الذبح وفدايه بذبح عظيم وباخراج
يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف نبي واخوته انبيا
استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى ال يعقوب وقيل لما بلغت الرويا
اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان
يعقوب موثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته

يحد

يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف له المحبة وكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا
يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر
مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وال يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل
ال اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال ال النبي
وال الملك ولا يقال ال الحائك ولا ال الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا
الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان
عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتبا
حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم
ايات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شي للسائلين لمن سال
عن قصتهم وعرفها وقيل ايات على نبوة محمد عليه السلام للذين سالوه من اليهود عنها
فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراة كتاب وقرى اية وفي بعض المصاحف
عبرة وقيل انما قص الله على النبي خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي
قومه عليه ليتاسى به وقيل اساميهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وداني وزبالون ودان [illegible] ويشخر ونفتالي وكاذ
واشر الستة الاولى وكانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الاخر
من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف
ليوسف اللام لام الابتدا وفيها تاكيد لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما
امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته
لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما
فوقه ولا بين المذكر والمونث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف
واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما
في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال
كفاة نقوم بمرافقه نحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما
ان ابانا لفي ضلال مبين لفي ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون
النوائب

وروى النزال بن سبرة عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل
معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري
عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا
على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان
والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة من
العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت
نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم
الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها وكان
ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه
ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم
من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب
او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما
جنيتم عليه او يصلحا بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم
اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم او اما
منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا
وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لا تقتلوا يوسف فان القتل
عظيم القوه في غيابة الجب وهو غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم
من اسفله قال المنخل اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة
والاهل اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع
وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان
الارض تجب جبا يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين
يسيرون في الطرق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة
كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه
ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يفصل بينه وبين ابيه فهذا هو الرأي مالك
لا تأمنا قرئ باظهار النونين وبالادغام وباشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء

مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق
عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصح والمقة وارادوا بذلك
لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه
دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه نرتع نتسع في اكل الفواكه
وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ
يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر
العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب
عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا
انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق
وانما سموه لعبا لانه في صورته اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ليحزنني
ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين
احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة
واحدة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او
قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم ان الذئب قد
شد على يوسف وكان يحذره منه ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء
موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالياء على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من
تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله ان اكله الذئب
واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب القسم مجزي عن الشرط
والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا انه ان كان ما خافه من خطفة الذئب اياه
من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم
اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا او عجزا او مستحقون
لان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى
عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب
بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت اذا
مواشينا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين

فلما اتوا على احد بعد واحد من الاخر فلما ـــــ هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم
الامرين فاعاروه اذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك
اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بير بيت المقدس
وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب
وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم
لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما
استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني
موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها
من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه
ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على
ابيهم فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في
البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط
فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم
فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام
وروي ان ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل
عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب
فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه والبسه اياه
واوحينا اليه قيل اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ
ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما
اوحى اليه ليونس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه شانك وكبرياء سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك
انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه
على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له
يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم

لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله ولو
على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون متعلق

ذلك ويحسبون انه مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون
صح

باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا
وعشيانا واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني عشا بضم العين والقصر
وقال عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي
يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد
ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم
فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما بالكم واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان
كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو
او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو
كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء
الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب
وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به
جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون
مفعولا له وقرات عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل
طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار
الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها
وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته
وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص
وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه
وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على
وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت
على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا
فوق قميصه بدم كما تقول جاءوا على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة

بل سولت ... الا ان حاله المزور لا تتفق عليه سولت سهلت من السول وهو
الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته
في اعينكم استدل على فعلهم بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او
اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي
فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جا
في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق
لاتيان قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة
الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان
يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله
تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان
اي المستعان على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه
وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء
يوسف في الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة
من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه مالحا فعذب حين القي فيه يوسف
فارسلوا واردهم يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي
يرد الماء يستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا اوانك
وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء
مكان الالف جعلت ياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب
مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن
نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده
الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف
بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام
وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد
واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا
لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس الضمير لاخوة يوسف انهم

الجمال

قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان
يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاع التجارة والبضاعة ما بضع
من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث
استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما فعل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء
الصنيع وشروه باعوه بثمن بخس مبخوس لنقصه عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف
ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم
كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليل
معدودة لان الكثرة يمتنع عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما
وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين من يرغب عما في يده فيبيعه بما
طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف
ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان
يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين
لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم
يقولون استوثقوا منه لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم
على الموصول الا ان يتوسع في الظروف وانما هو بيان كانه قيل
في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر هو قطفير او اطفير
وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد
العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب
فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث
في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة واتاه
الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة
وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه
العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق
يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه

قطفير بتلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا
مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه
عن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل
كيف ابو مثواك وام مثواك لمن نزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك
بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه
عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر على
بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه
مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له فتفرس فيه الرشد فقال ذلك
وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه
عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها استاجره وابو بكر حين استخلف
عمر رضي الله عنه وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك اشارة
الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل
ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجينا وعطفنا عليه العزيز كذلك
مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من
تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم
وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع عما يريد ويقضي
او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد ارادوا اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا
ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل في الاشد
ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون
حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان
امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن
عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله المراودة مفاعلة من راد
يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل
المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه

عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل
كانت سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبنا
ان وعيط وهيت بجير وهيت بحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء
يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهئت لك واللام من صلة الفعل واما في
الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله
اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير
احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء
الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل
الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب
هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال همت ولم افعل وكدت وليتني
تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولهم لا افعل ذلك ولا كيدا ولا
هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه
الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به
معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان
ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله
وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا
اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم
بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة
ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم والقصد اليه
وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو
يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب
اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان
صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على
حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه
من عباده المخلصين وعن ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقال

الرجل فيملكه لولا احفظ الله يريد مشارفة الفتن ومشامخته كانه شرع فيه
فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام
هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القاري اذا قدر خروجه
من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدي
قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين
فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا
جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها
من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من
الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف
بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا
متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم
بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة
لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع
احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على
سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وكان اعفاله الغا
لو وجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد
بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما
هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان راى برهان ربه فترك التوصل الى
حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد
فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل
تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر
البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم
يعمل به فسمعه ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا
على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كان
كل ولد ليعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا

من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له
ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد
ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى
فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبريل
ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل
عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت
المراة الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف
استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذات
الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله
وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد
الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما نعيت على ادم صلوات الله عليه زلته وعلى داود
وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف
وقد اثنى الله عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض
وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه
القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القران الذي
هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته
وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الاخرين كما جعله
لجده الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى اخر الدهر في العفة وطيب
الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم
ما يؤدي الى ان يكون انزل الله السورة التي هي احسن القصص في
القران العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية
وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به
من عنده ثلاث صيحات بقوارع القران وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد ه

وما التشبيه بالطائر الذي يسقط ريشه حين يقعد عن انثاه وهو جاثم في
مربضه لا يتقلقل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى تداركه الله بجبريل وباجبار
ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى
ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب
ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة
السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم
لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء
مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا
معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم
لانه من ذرية ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب
وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى
قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد
الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف
وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد
الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص وقد روى كعب عنه انه لما
هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب
منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها لدى الباب وصادفا بعلها
وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك
يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل
وقيل جالسا مع ابن عم للمراة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي
مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها بين غرضيها وهما تبرية
ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها
خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها

ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون
استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد
فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها
سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه
ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف وقيل العذاب
الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه
الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد
شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو
من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل
هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك
ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث
لا يشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن
خال لها صبيا في المهد وعن النبي عليه السلام تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله
شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة
في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية
كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول
او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت
ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه
اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت
من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه
من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه
فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل
القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة
يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحاق انه قرا من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين

منعها الصرف للعلمية والتانيث وقرئ بسكون العين فان قلت كيف
جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت ان المعنى
ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت
اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمنن علي امنن عليك فلما راى
يعني قطفير وعلم براة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزا
من اراد باهلك سوا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب
لها ولامثالها وانما استعظم كيد النسا لانه وان كان في الرجال الا ان النسا الطف
كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله
ومن شر النفاثات في العقد والقصيرات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن
من البوائق وعن بعض العلما انا اخاف من النسا اكثر مما اخاف من الشيطان
لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنسا ان كيدكن
عظيم يوسف حذف منه حرف الندا لانه منادى قريب مفاطن للحديث
وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به
واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب
يقال خطي اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور
على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال
نسوة وقال جماعة من النسا وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة
صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد
لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تا التانيث
وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز تريد قطفير والعزيز
الملك بلسان العرب تراود فتاها عن نفسها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي
شغفها حبا شق شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب
القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال
هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين
من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

وحبا

وحبا نصب على التمييز منقول من الفاعل في خطائه وبعد عن طريق الصواب بمكرهن
باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني
ومقتتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبته كما يخفي الماكر مكره
وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل
دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكا ما يتكين
عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين بايديهن
ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على
ايديهن فيقطعنها لان المتكي اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد
ان تقصد الجمع بين المكر بهن وبه فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن
فيبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة
مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكا مجلس طعام
لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك
نهي ان ياكل الرجل متكيا واتتهن السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكا
طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته
ليطعم عندك اعددت له تكاة يتكي عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا
وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كان المعنى
يعتمد بالسكين لان القاطع يتكي على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمز ومتكاء
متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح
يعني بمنتزح وعن ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج واصله
فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانه اهدت اترجة
على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت
بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا
وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه
وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكي يتكي اذا اتكى اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك
الحسن الرائع والجمال الفائق وقيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل الق

ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي عليه السلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السما
فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران
كما يرى نور الشمس من السما عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف
يوسف وقيل كان يشبه ادم يوم خلقه الله تعالى وقيل ورث الجمال
من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والها للسكت يقال اكبرت المراة اذا
حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد
الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال
ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن وجرحنها
كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى
التنزيه في باب الاستثنا تقول اسا القوم حاشا زيد قال
حاشى ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت
موضع التنزيه والبراة فمعنى حاشا الله براة الله وتنزيه الله وهي قراة ابن مسعود
على اضافة حاشا الى الله اضافة البراة ومن قرا حاشا لله فنحو قولك سقيا
لك كانه قال براة ثم قال لله لبيان من يبرا وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة
المصدر قراة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف
الاخيرة وقراة الاعمش حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في
الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقا الساكنين على غير حده وقرى حاشا الاله
فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براة الله
قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست
من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه ينقلب
الالف الى اليا مع المضمر والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته
على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته
على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه
لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله
ركز

ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك
يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة
كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشيطان ولا اجمع للخير
من الملك الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك
وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل
باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القران ومنها قوله
ما هن امهاتهم ومن قرا على سليقته من بني تميم قرا بشر بالرفع وهي قراة
ابن مسعود وقرى ما هذا ببشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا
ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول
هذا لك بشرى ام بكرى والقراة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر
للملك قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق
ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة
الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني
الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته
ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به الاستعصام بناء مبالغة
يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو مجتهد في
الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي
واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلم لا مزيد عليه وبرهان لا شي
انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان
فان قلت الضمير في امره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت
الى الموصول والمعنى ما امر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان تجعل
ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب
امري ومقتضاه قرى وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف
اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون
الا في الخفيفة وقرى السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة

الهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقا نفسك
في السجن والصغار فالتجا الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب
الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس
شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة
قلت كانت احب اليه واثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها
لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحد منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها
والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبيا
والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار
على التعفف والالجا اليه اصب اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى
ومنها الصبا لان النفوس تصبوا اليها لطيب نسيمها وروحها وقرى اصب
اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى
لعلمه فهو ومن لا يعلم سوا او من السفها لان الحكيم لا يفعل القبيح فان قلت لم
ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعا قلت لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف
والدعا باللطف السميع لدعوات الملتجيين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم
بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا
اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات
وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها
منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها
حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما
اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن
ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتا على الخطاب خاطب به بعضهم
العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان
كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود
عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين
فقال من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القران فجعله عربيا وانزله

بلغة قريش فاقرى الناس بلغة قريش ولا تقريهم بلغة هذيل واللام مع يدل على
معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون
دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما
يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في
المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه
وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين
يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه بعض اهل السجن
رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلما لانهما سمعاه يذكر للناس ما علم
انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل
ما راينا ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه
واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع
رجاوهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا توجروا ان لهذا لاجرا
فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في
جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل
الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن
جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من
حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي
من حبه بلا لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلا ثم احبني ابي فدخل علي من حبه
بلا ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلا فلا تحباني بارك الله
فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان
فاذا باصل حبلة عليها ثلث عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك
وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة
واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله
نبئنا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة
في نحوه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان

الحبلة بالتحريك القضيب من الكرم صح

من ذلك توصلا به ووصف نفسه بما هو فوق علم العلما وهو الاخبار بالغيب
وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول
اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك
تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح
لهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة
اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة
اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك
وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه
ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية ذلكما مما علمني ربي
لان ذلك شبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل
اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله
عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما
قبله اي علمني ذلك واوحى به الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبيا المذكورين
وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان
على دينهم وتكرير هم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم
قوم مومنون بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزا تنبيها
على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزا ويجوز ان
يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعدما راوا الايات
الشاهدة على براته وان ذلك ما اقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزا
وذكر اباه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من
اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان
لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله اي شي كان من ملك او جني او انسي
فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله
علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم
اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا

ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها
ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت
ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لهواهم فيبقون كافرين
غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما
تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة وكذلك السجن
مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك
لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا
الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد
يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ءارباب متفرقون يريد
التفرق في العدد والتكاثر يقول ءان يكون لكما ارباب شتى يستعبدكما
هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب
ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله
وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا
اسما يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا
تعبدون الا اسما فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال
سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة
ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك
الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه
سيده واما الاخر فيصلب يروى انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان
الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني
ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان
فيه من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين
فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا به
من اجله وظنا ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي

النبوة

لزمهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي
ما يؤول اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا
شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما
ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلم ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان
بطريق الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند
ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني
من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه
وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين
الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت
كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله
عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزول عن قلبه ذكره
واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها
فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي
باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قوله
فانساه الشيطان ذكر ربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة
تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف
المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة
بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
وفي الحكاية عن عيسى من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد
ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن اخيه المؤمن كربة فرج
الله عنه كربة من كرب الاخرة وعن عايشة رضي الله عنها ان النبي عم
لما اخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت
غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة
وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار
في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله

الانبيا على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن
والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به
خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو
كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان
يبكي اذا قراها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنا فرج
يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان
وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد
استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها
فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة ونحوه
رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز
وهي بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت
اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات
وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى
تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس
بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت
التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان
قلت فقد يقولون ثلثة فرسان وخمسة اصحاب قلت
الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت
حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلثة ضخام واربعة
غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا
تراه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت
ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء
بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي
ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان

على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على
النقيض فان قلت هل في الاية دليل على ان السنبلات اليابسة
كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد
في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى
الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان
قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات
خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها
على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع
المذكور ولفظ الاخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة
رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين
بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة
رجال قيام واخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملا كانه اراد الاعيان
من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان يكون للبيان كقوله وكانوا فيه
من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل
فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت
هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان
كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر
اخر او حال وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما
تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت
الرؤيا اذا ذكرت مالها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي
اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت
على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رؤيا ثم عبرتها
وكنت للاحلام عبارا اضغاث الاحلام اخاليطها واباطيلها وما يكون
منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات

وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضـ
والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث
احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمايم الخز
لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهولاء ايضا تزيدوا
في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع
هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام
المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو
للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل
الاحلام بنحارير قرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر
بالذال والاصل تذكر اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف
وما شاهده منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه
واعضل على الملا تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا
صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرا الاشهب العقيلي بعد
امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة
وارتهم هناك القبور اي بعدما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان
يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرا بسكون الميم فقد اخطا انا انبيكم بتاويله
انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا اتيكم بتاويله فارسلون اليه
لاساله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى
فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق
وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا
صاحبه حيث جا كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس
لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما
لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك في العلم فيطلبوك ويخلصوك من
محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تومنون بالله واليوم الاخر وتجاهدون
وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه

والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها
وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على تدأبون
دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا
يتسوس ويأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن
تحصنون تحرزون وتخبأون يغاث الناس من الغوث او من الغيث
يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون
بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع
وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة
ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه
يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون
من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته
واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تأول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف اليابسات بسنين
مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجي مباركا
خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله
علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها
بالخصب والا لم يوصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت
ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما تأنى وتثبت في اجابة الملك
وقدم سؤال النسوة لتظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق
به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا
يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن
ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب
وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يقفن مواقف التهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض

نسائه هي فلانة انقى للتهمة وعن النبي عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه و
والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه
ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين جاءه الرسول
فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة
وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر انه كان حليما ذا اناة وانما قال سل الملك
عن حال النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان
ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش
عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا حتى
يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه
انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر
على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم لا يعلمه الا الله لبعد
غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدن به وانه بريء مما قرف به او اراد
الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شأنكن
اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا
من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول
وهو من حصحص البعير ثفناته للاناخة قال حميد بن ثور فحصحص في صم
الحصا ثفناته وناب بسلمى نوءه ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة
والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفته به لانهن
خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق
لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان نلحق
به فوقه من يثبت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر
لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب
الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو
غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار

ورد الابواب لتسع الغلقه ولتعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه
ولا يسدده • وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته
امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون
تاكيداً لامانته وانه لو كان خاينا لما هدى الله كيده ولا سدده • ثم اراد
ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا
ومفتخراً كما قال رسول الله صلى الله عليه انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه
من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ
نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا اخلو اما ان يريد
هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية
لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء
اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم
ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى
الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت
العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف
الاساة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل منا . ذلك ليعلم اني لم اخنه
لان المعصية خيانه وقيل هو كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف
اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالنصح والصدق فيما سئلت
عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار
مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة
كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان
قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت
كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملا من قوم
فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون
وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا تقديم القران

وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال
اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل عليه السلام ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز
ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله
فقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد
منه ما لم يحتسب قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن
ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم
اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى
وقبور الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة الاصدقا ثم اغتسل وتنظف من
درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اسالك بخيرك من
خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال
ما هذا اللسان فقال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه
بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي
منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف
السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له
من حقك ان تجمع الطعام في الاهرا فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك
ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك اجعلني على خزاين الارض ولني
خزاين ارضك اني حفيظ عليم احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف
وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما
قال ذلك ليتوصل الى امضا احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن
مما لاجله تبعث الانبيا الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك
وطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه
اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له

وتحت امره وطاعته فلمـــــا وروى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل
على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون
القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى
الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به
وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى وكان في حكم التابع له
والمطيع وكذلك مكنا التمكين الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر روي انها
كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء اي كل
مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها
تحت ملكته وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما
السرير فاشدد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس
من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس
على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات
بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها
عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال
والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني
القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها
ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك
كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد
الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم
وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب
ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا
واحتبس بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم
من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان ناجرهم في الدنيا

ولاجر الاخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا
والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية وهم لا يعرفونه
لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه
عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك
والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة
حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي
ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه
على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى
راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينه وبينهم مسافة
وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم
رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم
فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم
اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر
ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم
لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذا المجرى روي انه لما
راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن
قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا
تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق
نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد
قال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه
يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق
قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي
رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فا
صابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد
احسن انزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه ضمان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء

نحن وما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم عندي كأنه قيل فإن لم تأتوني به تحرموا
ولا تقربوا وأن يكون بمعنى النهي سنراود عنه أباه سنخادعه عنه
ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وإنا لفاعلون وإنا لقادرون
على ذلك لا نتعايا به أو وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى
لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كإخوة وإخوان في أخ وفعلة للقلة وفعلان
للكثرة أي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها
وحق التكرم بإعطاء البدلين إذا انقلبوا إلى أهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم
يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا وكانت بضاعتهم النعال
والأدم وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير
من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنا وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة
لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم
يردونها منع منا الكيل يريدون قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل
لكم لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل
ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم
اكتياله إلى اكتيالنا أو يكون سببا للاكتيال فإن امتناعه بسببه
هل آمنكم يريدون أنكم قلتم في يوسف وإنا له لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم
خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه
ودفعه إليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا
ويجوز أن يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الأعمش والله خير حافظ وقرأ
أبو هريرة خير الحافظين وهو أرحم الراحمين فأرجو أن ينعم علي بحفظه ولا يجمع
علي مصيبتين وقرئ ردت إلينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت
إلى الراء كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن
سكنها إلى الضاد ما نبغي للنفي أي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا
لك من إحسان الملك وإكرامه وكانوا قالوا له إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا
وأكرمنا لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته أو ما نبغي شيئا وراء ما

فعل بنا من الإحسان أو على الاستفهام بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا وفي
قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب بمعنى أي شيء تطلب وراء
هذا من الإحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك
بضاعة أخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت إلينا جملة مستأنفة موضحة
لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى أن بضاعتنا ردت
إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا في رجوعنا إلى الملك ونحفظ أخانا فما
يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا على أوساق
أباعرنا فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع
ذات أيدينا وإنما قالوا ونزداد كيل بعير لما يكونه لأنه كان لا يزيد لكل رجل
على حمل بعير للتقسيط فإن قلت هذا إذا فسرت البغي بالطلب
فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الأولى وهي قوله
هذه بضاعتنا ردت إلينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قولهم
فما تصنع بالجمل البواقي قلت أعطفها على قوله ما نبغي على معنى
لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما
مبتدأ كقولك وينبغي أن نمير أهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان
واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب أن أسعى وينبغي لي أن لا أقصر ويجوز
أن يراد ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا
ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا
لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك
كيل يسير أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا
أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويكون ذلك إشارة إلى كيل بعير أي ذلك
الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر
لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير واحد شيء يسير
لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لن أرسله معكم وهو منافي لحالكم
وقد رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما

ما نتوثق به من عند الله اراد ان تحلفوا لي بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه
لان الحلف مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه
لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا
فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت
ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي
معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل
الا لعلة واحدة وهو ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء
من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول
بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل
على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب
واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد شهرهم اهل مصر بالقربة عند
الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم وكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم
من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم
ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على
الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم
في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم
كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل للاصابة بالعين وجه
تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب
به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده
ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هذا
اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي عليه السلام
انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة
ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم
يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم

ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم
وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصاع في رحله وتضاعف المصيبة
على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها
وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما
اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
روي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون
ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي
بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف
بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال انتم عشرة
فلينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم
رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم
اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك
يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن
الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن
وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد
والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي
بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل
قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك
سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي
الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب
تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هو المكوك
الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب
وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى
مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه

[illegible]

وقيل انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا
ثم قال لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل
هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل
كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله
يا خيل الله اركبي وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما
كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا
ثم اذن مؤذن وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين
معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء
به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب
مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من
دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه
رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق
ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط
بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته
ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله
اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق
سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق
نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه
لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا
والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل
جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك
من [أخو] زيد فيقول اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من
والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه
خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله

فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول
ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدا باوعيتهم قيل قال لهم
من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدا بتفتيش
اوعيتهم قبل وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا
اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا
فاستخرجوه منه وقرا الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرا سعيد بن
جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع
مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع
لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا
فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا
مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين
ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد
الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من
نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات
بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء
كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا فان قلت ما اذن الله
فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا
بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون
فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان
في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف
وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض
لانتفاء براءتهم وفرض التكذب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب
كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل

الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص
من حلفها ولا يحنث وكقول ابرهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرايع كلها
الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى ان في هذه
الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت
حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له ارادوا
يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكسوا رؤسهم
حياء واقبلوا عليه وقالوا ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا
يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا
يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي
الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة
فقيل كان اخذ في صباه صنما كان لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف
في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
وقيل كان في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابرهيم
عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت
اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه
فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على
يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها
محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها
حتى ماتت فاسرها يوسف اضمرها على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا
وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام
كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال
في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن
مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر منزلة في
السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم
انه لم يصح لي ولا لاخيه سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه باذكارهم اياه

قوابهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه
منهم وقد كانوا اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه
مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذ بدله على وجه الاسترهان او
الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان
فاجر على عادتك ولا تغيرها قال معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب
على قضية فتواهم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا
غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله
امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك
فلو اخذت غيره لاني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ
الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول
به وحذف من اذا لظالمون جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا
استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم
والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر
والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي
كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل وادهم نجوى تنزيلا للمصدر
منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع
انجية وقال اني اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا
وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا
اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا
لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي
وحقيقته وكان تناجيهم وتدبيرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون
لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى
التشاور قال كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل في الراي وهو شمعون وقيل
كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون
ما صلة اي ومن قبل هذا فرطتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم

و يكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من
قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول
الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم
من قبل في يوسف وان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتم اي قدمتموه
في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله النصب او الرفع على الوجهين فلن
ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او
يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب
من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرئ سُرِّق
اي نسب الى السرقة وما شهدنا علينا بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه
لان الصواع استخرج من وعائه ولا شي ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما
علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت
بيوسف ومن قرأ سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق
وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم
يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن القصة
والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب
وقيل من اهل صنعا معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال
بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ
بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم به جميعا بيوسف واخيه وروبيل وغيره انه هو
العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لا يبتليني الا لحكمة ومصلحة
وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به يا اسفى اضاف الاسف
وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس
بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه
اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون
من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه
راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع

وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون
الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل
على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء
فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم ينسه اي في المصائب بعده ولان الرزء
في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزء الباقي ولو لم يكن
الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا اكثر الاستعبار
محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان
يدرك ادراكا ضعيفا وقرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكا الذي
حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت
فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ وجد يعقوب على يوسف
قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه
بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك
المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد
من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن
ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم
ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا
رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكا فقال ما نهيتكم عن البكا وانما نهيتكم
عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله
انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا
على يعقوب فهو كظيم فهو مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل
بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على ملئه والكظم
بفتح الفاء مخرج النفس يقال اخذ بكظمه تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف

تمامه
ولكن نكا القرح بالقرح اوجع

يعني لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بد من اللام والنون
ونحوه فقلت يمين الله أبرح قاعداً ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد
لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ يفعل قال
أوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضاً
مشفياً على الهلاك مرضاً وأحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث لأنه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف
وجاءت القراءة بهما جميعاً وقرأ الحسن حرضاً بضمتين ونحوه في الصفات
رجل جنب وغرب البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى
الناس أي ينشره ومنه باثه أمره وأبثه إياه ومعنى إنما أشكو إلى
لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي داعياً له وملتجياً إليه
فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم إلى الله والشكاية إلى الله وقيل دخل
على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن
ما بلغ أبوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى
الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفر
لي فغفر له فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله
وروي أنه أوحى إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم
مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقي إلي الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاماً
وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت
حتى عميت وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني
به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب وروي أنه رأى ملك الموت في منامه
فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله وهو حي فاطلبه وقرأ الحسن
وحزني بفتحتين وحزني بضمتين فتحسسوا من يوسف وأخيه
فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما
تفعل من الإحساس وهو المعرفة فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن الجس
وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الإنسان الحواس والجواس من روح الله من رحمته
وتنفيسه

وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أي من رحمته التي يحيى بها العباد
الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر
رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح
تزجي السحاب قيل كانت من متاع الأعراب صوفاً وسمناً وقيل الصنوبر
وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والأقط وقيل دراهم زيوفاً لا تؤخذ
إلا بوضيعة فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق وتفضل علينا
بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو
فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات محظورة على الأنبياء وقيل
كانت تحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق
علينا أراد أنها كانت حلالاً لهم والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا أن
يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه
وقوله إن الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة
العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول
اللهم تصدق علي إن الله تعالى لا يتصدق إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب
قل اللهم أعطني أو تفضل علي أو ارحمني قال هل علمتم أتاهم من جهة الدين وكان
حليماً موفقاً فكلمهم مستفهماً عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه
التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون لا تعلمون
قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو
إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة وكان كلامه شفقة عليهم
وتنصحاً لهم في الدين لا معاتبة وتثريباً إيثاراً لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام
الذي يتنفس فيه المكروب وينفث فيه المصدور ويتشفى المغيظ المحنق
ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصى عقولهم
ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم
لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل وقيل معناه إذ أنتم
صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة وروي أنهم

مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول
وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم
خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلا اما جدي
فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار
عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله
واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية
ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي
من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا
فقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك انا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما
قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا الكتاب
بكا وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فان قلت ما فعلهم
باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه
وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم
بانواع الاذى وقرئ انك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة ابي
اينك او انت يوسف على معنى اينك يوسف او انت يوسف فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات
فان قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم
بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف
مسلم من سنخ ابرهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه
بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه
فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة
البيضا فان قلت قد سألهم عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه
اخيه على ان اخاه كان مظلوما لهم قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان
لما سألوه عنه من شوم خطائه وعقابه ويخبر عن المعاصي وعلى الطاعات

فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين
لقد آثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين
وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله
اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم
ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش
ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه
اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع
الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم
قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر
والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من
الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك
ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح
بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم
وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه اخذ بعضادتي باب
الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم وقد قدرت فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي
ان ابا سفيان لما جا ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا
تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه غفر الله لك ولمن علمك ويروي
ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا
ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم
فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس
انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث
الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه
ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يات بصيرا يصر بصيرا كقولك

بنا محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير وينصره
قوله ايتوني باهلكم اجمعين اي ياتني ابي بصيرا ويات الي اهلي جميعا وقيل يهوذا
هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما
احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة
ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصلت من البلد
فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس فلما انفصل
العير قال لولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون
اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانين فرسخا والتفنيد النسبة
الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا
يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها
والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن
الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه
وكان عندهم انه قد مات القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او
القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتد اذا ارتجع
الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله
اني اعلم كلام مبتدا لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سال البشير
كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على
دين الاسلام قال الان تمت النعمة سوف استغفر لكم قيل اخر الاستغفار
الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل ليتعرف
حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم
فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام
الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على
يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه اني قد
غفرت لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبهم البكا ما يغني عنا عفوك

ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل
الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة
خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل فقال ان
الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد
اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا
ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند
والعظما واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكا على يهوذا فنظر
الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه
قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا
يا ابه بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت
ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان
وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى والمقاتلة منهم ستمائة الف
وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية
الف الف ومائتي الف اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال الحسن
كانت امه تحيا وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين
لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله
واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم
الى مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم دخلوا
عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ولما دخل مصر وجلس
في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير
وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد
خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال وامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا
عليه القبة فاواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا
مصر فان قلت بم تعلقت المشية قلت بالدخول مكتنفا
بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم

ويكون المعنى ادخلوا سالمين غانمين ان شاء الله فلا تعلق للمشيئة بالدخول
مطلقا بل مقيدا بالسلامة والغنيمة متكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر
آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية
بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير
وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما قال فيه
ونظاره فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة
عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها
مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت
الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا
لاجل يوسف سجدا لله وهذا ايضا فيه نبوة يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء
اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية لانهم
كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا
واغرى واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه
اذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه
الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه
فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن
السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك
هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله
قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله
الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم
عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم
طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل
ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل
مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي

ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء
ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرايم وميشا وولد
لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق
بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه
الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه من الملك ومن تاويل الاحاديث للتبعيض
لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل انت وليي
انت الذي يتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني
مسلما طلب الوفاة على حال الاسلام وان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب
لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني
بالصالحين من آبائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات
عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا
احييت سننا وامت بدعا وفي حيوتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا
اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني
بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر السموات قلت على
انه وصف لقوله رب كقولك اخانا محسن الوجه او على النداء ذلك
اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء
وقوله من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى
الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبأ غيب لم
يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو
القاؤهم اخاهم في البئر كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وهذا
تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة
هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه
فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته
لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل
لهم قد علمتم بالمكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه

اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون
له الغوائل وما اكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم
لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسالهم على ما تحدثهم به وتذكرهم
ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الاحاديث والاخبار ان هو
الا ذكر الا عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول
من رسله وكاين من اية علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها
ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض والارض
بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرا السدي والارض بالنصب
على ويطوون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها
برفع الارض والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن
اكثرهم في اقرارهم بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك
بعبادته الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس
هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من
العذاب ويجللهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي
الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان
ثم فسر سبيله بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اي ادعوا الى دينه
مع حجة واضحة غير عمياء وانا تاكيد للمستتر في ادعوا ومن اتبعني
عطف عليه يريد ادعوا اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان يكون
انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا
مبتدا بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على
بصيرة حالا من ادعوا عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه
من الشركاء الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة
وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبئة ولم تكن
انبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم

واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الاخرة ولدار
الساعة او الحال الاخرة خير للذين اتقوا للذين خافوا الله فلم يشركوا
به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء حتى متعلقة بمحذوف
دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى
اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب
والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله
قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر
لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا
حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا
بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله
فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه
الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو
ترجح احد الجانبين على الاخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين
هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن
المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم
فلم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد
كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصر عليهم وقرا مجاهد كذبوا بالتخفيف
على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من
النصرة اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا
انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم
كذبوهم في موعدهم وقرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه
فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرا ابن محيصن فنجا والمراد من نشاء
المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد

وان بأسنا عن القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرأ في
قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته فان قلت
فالام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر قلت الى القرآن
اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية
وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة
والاجماع والقياس بعد ادلة العقل واتصاله ما نصب بعد ولكن للعطف على
خبر كان وقرى ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف في عددها وهي خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم المر

تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة
الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من ربك القرآن كله هو الحق الذي لا
مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة
المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدا والذي خبر بدليل
قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل
الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير
عمد ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها وقيل هي صفة لعمد
ويعضده قراءة ابي ترونه وقرى عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته
يفصل آياته في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وان هذا المدبر والمفصل
لابد لكم من الرجوع اليه وقرا الحسن نفصل بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها
من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك
وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير
والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه
فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرى يغشي بالتشديد قطع متجاورات

بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة
الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا الشجر والاخرى على
عكسها مع انتظامهما جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد
موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخل النابتة
في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها تتفاوت
الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف
قطعا متجاورات على وجعل وقرى وجنات بالنصب للعطف على زوجين
او بالجر على كل الثمرات وقرى وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب
او جنات صنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرى
بالضم والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالياء والتاء
ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف
وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق
بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي
بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسر وكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب
أإذا كنا ترابا الى اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون
منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أإنا لفي خلق جديد اولئك الذين
كفروا بربهم او لئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم
وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا او يغلون عن الرشد
اغلالا واقيادا او هو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية
والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سالوا رسول الله ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم
بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا
بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب
والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه
واقصصته منه والمثال القصاص وقرى المثلات بفتحتين الفاء والعين والمثلات
بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف
المثلات

[illegible] مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع
ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال يعني ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات
المكفرة لمجتنب الكباير او الكباير بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر
والامهال روي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما
هنا احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه اية من ربه
لم يعتدوا بالايات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو ايات موسى
وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية واحيا الموتى فقيل لرسول الله انما انت
رجل ارسلت منذر مخوف لهم من سوء العاقبة وناصح كغيرك من الرسل وما
عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية اية كانت
والايات كلها سوا في حصول صحة الدعوى لها لا تفاوت بينها والذي عنده
كل شيء بمقدار يعطي كل نبي اية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره
لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من
الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبيا شرعا واحدا في ايات مخصوصة وجه
اخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات ويعاندون
فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم
ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله
تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر ايات علمه وتقديره كل الاشيا على قضايا حكمته
ان اعطاه كل منذر ايات خلاف ايات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر
بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه
واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر
وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله
يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسير الهاد
على الوجه الاخير ثم ابتدا فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض
وما تزداد اما موصولة واما مصدرية وان كانت موصولة فالمعنى انه
يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن

وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما
تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض
الماء وما تزداد اي ما تاخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا
ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته وزاد بنفسه وازداد ومما
تنقصه الرحم وتزداد عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين
وثلثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد
فانه يكون تاما ومخدوجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد
عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل
ان الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي
هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى
ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله
ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو
لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع
لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض
الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام وكل شيء عنده بمقدار بقدر
وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير
العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او
الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي
في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب
الخفاء في مختبئه بالليل وظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره
كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل
ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا
فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما
ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف
على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان

سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كأنه
قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في
حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون يعني
المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء
على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه
يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل
له معقبات من امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن
عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه بامر الله
من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان
يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس
والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه
ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض
من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة
حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من والٍ يلي امرهم
ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل لا نهاية
الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا
ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا
خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان
وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب
الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه يرجى
ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد
ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب
اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقال وسحاب ثقال ثقيلة
كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا
الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن

النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله
عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله اللهم لا تقتلنا بغضبك
ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلى
الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق
من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة
الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة
من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء
الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم الذين
كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله
ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام
وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام
المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال
جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد ابن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى
الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد
صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا أمن نحاس هو ام من حديد المحال
المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف له استعمال
الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث
ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتش في غصن المجد
غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه
ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل
من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز
ان يكون بمعنى الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد
الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة

والاسم [illegible] عنه عزوم الاثرى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار
عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق
الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان
الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه
يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له وكانت دعوته
ملابسة للحق لكونه حقيقا بان توجه اليه الدعا لما في دعوته من الجدوى و
النفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاوه والثاني ان تضاف الى الحق الذي
هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن
رحمه الله الحق هو الله وكل دعا اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه
اتصال هذين الوصفين بما قبلهما قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته
بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت فاجيب فيهما اخسفهما ع
وكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول
الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دعا عليهم
فيهم والذين يدعون والالهة والذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون
لهم بشي من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه
اي كاستجابة الما من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والما جماد لا
يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاه و
يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعايهم فلا يستطيع اجابتهم ولا يقدر
على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعايهم لالهتهم بمن اراد ان يغترف
الما بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيا ولم
يبلغ طلبته من شربه وقرى تدعون بالتا كباسط كفيه بالتنوين الا في
ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة
لم تستطع اجابتهم ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله
شاوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف

على مشيته في الامتداد والتقلص والفي والزوال وقرى بالغدو والايصال
من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له
عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله
من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر
لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا
له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز
ان يكون هذا القول تلقينا اي ان كفوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا
يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه اوليا ابعد ان علمتموه رب السموات
والارض اتخذتم من دونه اوليا فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد
من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه
لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ام
جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركا يعني انهم لم يتخذوا
الله شركا خالقين قد خلقوا امثال خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم
حتى يقولوا قدر هولا على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة
فنتخذهم له شركا ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا
له شركا عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا
على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شي لا خالق غير الله ولا يستقيم ان
يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد
بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله
للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور
مثلا لهما فمثل الحق واهله بالما الذي ينزله من السما فتسيل منه اودية الناس
فيحيون به وينفعهم بانواع المنافع وبالفلز الذي في صوغ الحلي منه واتخاذ ينتفعون ع
الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد
لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقا ظاهرا يثبت الما في منافعهم وتبقى آثار

بعضه

في العيون والابار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكتنز وكذلك
الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك
زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي
يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر
لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فتسيل بعض اودية الارض دون بعض
فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله
انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله فاما ما ينفع الناس لانه
ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة
ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت ثم ما بين قوله
ابتغاء حلية او متاع قلت الفارق فيه كالفارق في قوله بقدرها لانه يجمع
الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من
الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه وذاب وهو الحلية
والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة
لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك
نحو ما جاء في ذكر الآجر وقد بني بالامان على الطين ومن لابتداء الغاية
اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبدا رابيا منتفخا
مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل اي يرمي به وجفأت القدر
بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي
حاتم لا تقرأ بقراءة رؤبة لانه كان ياكل الفار وقرئ يوقدون بالياء
اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله
الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا
الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى
وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل تم الكلام عند قوله قد
كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى كلام مبتدا خبره
للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا

مبتدا خبره او مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب
الرجل بذنبه لا يغفر له منه شيء دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن
يعلم الانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم انما انزل
اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب
كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولو الالباب اي الذين
عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدا
واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة
ويجوز ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه
على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا
بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من
الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص
ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون
اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم
والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم
وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم
والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة و
عن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من
اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن
الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون
ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم
قبل ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال
ومشاق التكاليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل
واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله
وتجلدي للشامتين ع ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله

ما لا يزيد ولا يهلك ولا يرد كأي زنكوا وكل عمل له وجوه يعمل عليها
فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا
وكان فعلا كلا فعل فمما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا
يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض
لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها
عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن
اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا كيسان
تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها
التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى
الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم بكسر النون فنقل كسرة العين اليها
ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرا
ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت
من الاعمال الصالحة وابائهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم سلام
عليكم في موضع الحال قائلين سلام عليكم فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم
قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم
او بدل لما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم لم تعبتم في الدنيا
لقد استرحتم الساعة كقوله بما قدمتم فيها او انتم بدنيا وعن النبي
عليه السلام انه كان يأتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار ويجوز ان تتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم بعد
ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد
سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم
وبئس مهادها الله يبسط الرزق وقدر اي الله وحده هو يبسط الرزق
ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا
بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم
ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا

في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات
او شربة من سويق او غير ذلك فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه
آية من ربه قوله ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب
من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله لم يؤتها
نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء الف آية واذا جحدوها ولم يعتدوا بها
وجعلوه كان آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه
قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء
من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم
وان انزلت كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى
الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل من اناب وتطمئن قلوبهم
بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته
او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين
آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف
المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى
وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك
طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع
والنصب تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في
طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرئ مكوزة الاعرابي طيبى لهم
فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال
ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسال ثم فسر
كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها
امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحالهم انهم
يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه

وكذبوا بهمته في رسالتك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر
الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي
عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه
محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت
به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب
لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما
قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
وهذا المقصد مما اشترط به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من اذا
تعظم ما اوحي اليك من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير
الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه ولو
انا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله عليه
سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع
كما سيرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود
وسخر لنا الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق
علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلثة
ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها
بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال لما آمنوا به اعتبارا وليس ببعيد من السداد
وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا
فيه معنيان احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات
التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان
يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار
ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة الالجاء والقسر
لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل

انما استعمل الناس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم
بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك
لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني
الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة
من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما
كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق
في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل
هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام
المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا
عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها
مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله بآمنوا على ولم يقنط عن ايمان هؤلاء
الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم تصيبهم
بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم
في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في انفسهم واولادهم واموالهم او تحل
القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شررها وتتعدى
اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال
كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول
الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب
من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية
حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الاملاء الامهال
وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا
وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية
له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب
على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه
كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا

... هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق
العبادة وحده شركا قل سموهم اي جعلتم له شركا فسموهم له من هم ونبئوه
باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد اي هو
اقل من ان يعرف ومعناه بل انبئونه بشركا لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما
في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد
نفي ان يكون له شركا ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض
ام بظاهر من القول بل انسموهم شركا بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك
حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها
وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان
طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن
الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا
قرئ بالحركات الثلث وقرا ابن ابي اسحق وصدٌّ بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله
بعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في
الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة
لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه
او ما لهم من رحمته واق من دخيله مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتدا والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل
الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج
معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما
غاب عنا بما نشاهد وقرا على امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دايم
كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دايم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا
بالشمس والذين اتيناهم الكتاب من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام
وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان
وثلثون بارض الحبشة يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه

والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا
ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف
وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه
وبدلوه من الشرايع فان قلت كيف اتصل قوله انما امرت ان اعبد الله
بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي
بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا
تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا وقرا نافع في رواية
ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون
في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا
لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم
وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده
والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزا حكما عربيا حكمة عربية مترجمة
بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه الى امور يوافقهم
عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لين تابعتهم على دين ما هو
الا اهوا وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا
ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث
للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة
بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه
بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون
عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج
وذرية وما كان لهم ان ياتوا بايات برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرايع مصالح
تختلف باختلاف الاحوال والاوقات ولكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض
عليهم ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشا ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت
بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة

[illegible] لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل
يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل
يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضها من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار
وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل
كل كتاب وهو اللوح المحفوظ ان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت وان ما
نرينك كيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب
عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك
حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم
يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على
المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك
من آيات النصر والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون
سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراءه
نحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح
التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ
ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله
وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق
معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد
طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر
بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد
عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو
جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني
زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم
وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا
ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار
لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث

لا يعلمون وهم في غفلة بما يراد بهم وقرئ الكفار والذين كفروا والكافر اي الكفر
اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرا جناح بن حبيش وسيُعلم الكافر من اعلمه
اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب
والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر
وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته
في كتبهم وقيل هو الله تعالى والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني
الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو
شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن
لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب
وعلم على البناء للمفعول وقرئ ومن عنده علم الكتاب فان قلت بم
ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع
العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل
لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فأخوه
فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع عنده فيها صلة
يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي
من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة
وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى **سورة ابراهيم مكية وهي احدى
وخمسون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ لتخرج الناس والظلمات والنور استعارتان
للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي
هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد
بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم
ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط
العزيز الحميد و[illegible] الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء
الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب النجم

في الارض ما. وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك
الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها
لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين
من الظلمات الى النور بالايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت
ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون
من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا
الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة
للكافرين ومنصوبا على الذم ومرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون
والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء
على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرئ
ويصدون بضم اليا وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال
اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا
لتنقله من غير متعدي الى متعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست
بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة
ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس
على ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل انها سبيل
في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت
فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في
الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول
جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل
عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما
يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال
ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم

فلغيرهم الحجة وان لم يكن لغيرهم الحجة فلو نزل بالعربية لم يكن [illegible]
قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى
نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل
بلسان واحد وكان اولى الالسنة بلسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا
فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه
كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك
من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال
المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب
من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح من القرب
والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم
من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها
وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها
كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى
بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش
بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو
جمع لسان كعماد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه
ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه
وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله تعالى
انزل التورية من السما بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشا
ويهدي من يشا كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لا
يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف
وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز
فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف
ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا
له اخرج ويجوز ان تكون الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض

وشبهه بالكون منه في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيرهما سوا في الفعلية
والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا
عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم
بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب
لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو
الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم
المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور
يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض
عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل
مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم اذ نجاكم ظرف للنعمة بمعنى
الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم
قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت
بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه وان كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله
مستقرة عليكم عمل فيه وتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته
صلة لم يكن كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ
بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت
في سورة البقرة يذبحون وفي سورة الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما
الفرق قلت الفرق انه حيث طرح الواو جعل تفسيرا
للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب
وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل
فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من
الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء
بالنعمة والمحنة جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير
وابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تأذن ربكم جملة ما قال موسى لقومه
وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا

نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم اذن ربكم ونظير تأذن
وآذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في
افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح
الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تأذن مجرى قال
لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم يا
بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به
عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس
كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج
والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم
يحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا
او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من
الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون
ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الاية قال كذب النسابون يعني
انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم
وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره
اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به وهذا اقوى وجه او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا
افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها
على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى
الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي
اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم
ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل فيما تدعوننا اليه

من الايمان ... وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة او ذي ريبة
من اربه ... الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر افي الله شك ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه
لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي
يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني
ودعوته لياكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور
فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جا
هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله فاتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا
اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المومنين هل ادلكم
على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقرا وكان
ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه
يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويوخركم
الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم
بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا
فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم
من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاتهم رسلهم بالبينات
والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا
بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها
فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا
على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك
الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استاثروا بها على
ابنا جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالاية التي اقترحتموها ليس الينا
ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشية الله وعلى الله فليتوكل المومنون
امر منهم للمومنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به
كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما

وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في
ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق
لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت
كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل
المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى
انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم
واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا
فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثيرا
فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما
عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن امن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد
لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجرى الايحا مجرى القول لانه ضرب
منه وقرا ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة
ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم
ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم
مطلب لطيف
ارضهم وديارهم وعن النبي عليه السلام من اذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا
في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويوذيني فيه فمات ذلك العظيم
وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابنا خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها
ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله عليه السلام وحدثتهم به وسجدنا
شكرا لله تعالى ذلك اشارة الى ما قضي به الله من اهلاك الظالمين واسكان المومنين
ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف
الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه
وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا
واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح او استحكموا الله
وسالوه القضا بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه

لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد
معناه استنصروا او ظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح
الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار
عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه قال
عنترة الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله في الدنيا
لانه مرصد بجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين
يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف
تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها
فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت
ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء
فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه
يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان
يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف
يراها ويأتيه الموت من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها قد
تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل
من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه
ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد
مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل
ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي
ارسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجا
كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار
واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل واممهم
مثل الذين كفروا مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما نقص عليكم
مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم
كرماد جملة مستأنفة او خبرا مستأنفا على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم

فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم وهذه الجملة
خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه
مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير
مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم
وهو لما فيه وهو الريح والرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكنة وانما السكون
لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم
من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة
الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء
منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد
طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا على شيء من اعمالهم
اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك
هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب بالحق
بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق
السموات والارض ان يشأ يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق
مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره
على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وضده وما ذلك على
الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف
كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان
لابعادهم في الضلال وعظم خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة
على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه
ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله ويبرزون يوم القيمة وانما جيء بلفظ
الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا
تتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش

ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا
أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فإن
قلت لم كتب الضعفوا بواو قبل الهمزة قلت كتب على
لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علمؤا بني إسرائيل والضعفا
الأتباع والعوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم
واستغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع
تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الأتباع
يقال تبعه تبعا فإن قلت أي فرق بين من في من عذاب الله وبينه
في من شيء قلت الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم
مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض معا
بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله
فإن قلت ما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال لهم
الضعفا كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم
مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم
فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم ولم
يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون
ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ويجوز أن
يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى
الإيمان وقيل معناه هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنينا عنكم
وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا أجزعنا
أم صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا
أو لا تصبروا سواء عليكم وروي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة
عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا

فإن قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله من حيث
إن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا
يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها
يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر
من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأغنيناكم أتبعوه
الإقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز
أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا
كقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا
كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد لما قضي الأمر لما قطع
الأمر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة
ودخول الآخر النار وروي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الأشقياء
من الجن والإنس فيقول ذلك إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال
فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
من تسليط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها إلا أن دعوتكم إلا
دعائي إياكم إلى الضلال بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان
ولكنه كقولك ما تحيتهم إلا الضرب فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم
بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان
هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا
التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني
ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه فإن قلت قول الشيطان
باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه
وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى إلى قوله إن الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله
وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله سبحانه إن عبادي ليس لك عليهم
سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ما أنا بمصرخكم [illegible] وما أنتم بمصرخي لا ينجي

بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثه وقرى بمصرخي بكسر اليا
وهي ضعيفه واستشهدوا لها بهذا البيت المجهول قال لها هل لك يا تا في تا فيّ
قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر يا الاضافه ساكنه وقبلها يا ساكنه
فحركها بالكسر لما عليه اصل التقا الساكنين ولكنه غير صحيح لان يا الاضافه
لا تكون الا مفتوحه حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها يا
فان قلت جرت اليا الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها
يا وقعت ساكنه بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت
هو قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزله الخبر المتواتر
تتضال اليه القياسات ما في بما اشركتموني مصدريه ومن قبل متعلق باشركتموني
يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم
القيمه يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبريه منه واستنكاره
له كقوله انا برآ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل
يتعلق بكفرت وما موصوله اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم
بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزه
قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ومعناه هنا ما في قولهم شغض من تحرك
لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عباده
الاوثان وغيرها وهذا اخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله تعالى ويحتمل
ان يكون من جمله قول ابليس وانما حكى الله تعالى ما سيقوله في ذلك الوقت
ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول
اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول
فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرى فلا يلوموني باليا على طريقه
الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرا الحسن وعمرو بن عبيد
وادخل الذين امنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول
الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكه الجنه باذن
الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراه الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن

ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراه ان يتعلق باذن ربهم بما بعده
اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكه يحيونهم باذن ربهم وقرى الم تر
ساكنه الرا كما قرى ومن يتق فقد ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه
وكلمه طيبه نصب بمضمر اي جعل كلمه طيبه كشجره طيبه وهو تفسير لقوله ضرب
الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حله وحمله على فرس ويجوز ان تنتصب
مثلا وكلمه بضرب اي ضرب كلمه طيبه مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجره طيبه
على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجره طيبه اصلها ثابت يعني في الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها وراسها في السما ويجوز ان يريد وفروعها
على الاكتفا بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك كشجره طيبه ثابت اصلها فان
قلت اي فرق بين القراتين قلت قراه الجماعه اقوى معنى من
مررت برجل قايم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا الرجل والكلمه الطيبه كلمه
التوحيد وقيل كل كلمه حسنه كالتسبيحه والتحميده والاستغفار والتوبه
والدعوه وعن ابن عباس شهاده ان لا اله الا الله واما الشجره فكل شجره مثمره طيبه
الثمار كالنخله وشجره التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول
الله قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن شجره فاخبروني ما هي فوقع الناس
في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخله فهبت رسول الله ان
اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني
لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله الا انها النخله وعن ابن
عباس شجره في الجنه وقوله في السما معناه في جهه العلو والصعود ولم يرد
المظله كقولك في الجبل طويل في السما تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل
حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه
لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زياده افهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجره
خبيثه اي صفتها كصفتها وقرى ومثل كلمه بالنصب عطفا على كلمه طيبه والكلمه
الخبيثه كلمه الشرك وقيل كل كلمه قبيحه واما الشجره الخبيثه فكل شجره
لا يطيب ثمرها كشجره الحنظل والكشوث ونحو ذلك قوله اجتثت من فوق

ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث
اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت
ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي
لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة
انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا
ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة القول
الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت
اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين
فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط
الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا
عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم
اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب
ان رسول الله ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان
فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الاسلام
ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم
وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباءهم فقالوا انا
وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن
وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه
الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند
ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم
عند زللهم بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي
وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه
تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم
التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما

كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل
النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله
عليه فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم واصابهم الله بالنعمة والرخاء
والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمة الله فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم
الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي
الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين
وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم من تابعهم على
الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان ليضلوا قرئ
ليضلوا بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم في
اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ
الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن
غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر
وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه
ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من
الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه
قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره
قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا ويجوز
ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا
وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة
وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية
قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف
اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء
المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب لاخلال الخلة فان قلت
كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان

[illegible] المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا أمثاله وفي
[illegible] الصدقات ليستحقوا وانتقادا بأمثالها أو خيرا منها وأما
الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه
الأعلى فلا يفعله إلا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع
فيه ولا خلال أي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه أموالهم
من المعاوضات والمكارمات وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله وقرئ لا بيع
فيه ولا خلال بالرفع الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق
أي أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا
حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لأنه في معنى رزق
دائبين يدأبان في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان
من الأرض والأبدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم
وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه
نظرا في مصالحكم وقرئ من كلٍ بالتنوين وما سألتموه نفيا ومحله النصب على الحال
أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن تكون ما موصولة على وآتاكم من كلٍ ذلك
ما احتجتم إليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان
الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا
أن يعدوها على الإجمال وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله لظلوم
كفار يظلم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والإنسان للجنس فيتناول الإخبار
بالظلم والكفران من يوجد منه هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله أمنا
وكفاه كل باغ ظالم وأجاب فيه دعوة خليله إبراهيم آمنا ذا أمن فإن قلت
أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت
قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه
من الصفة التي كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله
آمنا واجنبني وقرئ وأجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه وأجنبه

فأهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد وأهل نجد جنبني وأجنبني والمعنى
ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها وبني أراد بنيه من صلبه وسئل ابن
عيينة كيف عبدت العرب الأصنام فقال ما عبد أحد من ولد إسماعيل صنما واحتج
بقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام إنما كانت أنصاب حجارة لكل قوم قالوا
البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وكانوا يدورون بذلك الحجر
ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت إنهن
أضللن كثيرا من الناس فأعوذ بك أن تعصمني وبني من ذلك وإنما جعلن مضلات
لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم
أي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما
مثلي فإنه مني أي هو بعضي لفرط اختصاصه وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا
فليس منا أي ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم ومن
عصاني فإنك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانه إذا بدا له فيه واستحدث
الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك من ذريتي بعض أولادي
وهم إسماعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع
قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما إلا الاستقامة
لا غير وقيل للبيت المحرم لأن الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله
حرما لمكانه أو لأنه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي
حقه أن يجتنب أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لأنه حرم على
الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لأنه أعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلاة
اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل
مرتفق ومرتزق إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك
وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع
مستسعدين بجوارك الكريم متقربين إليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع
والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك أفئدة من الناس
أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال أفئدة الناس

[illegible] لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند
[illegible] كقولك القلب مني سقيم يريد قلبي سقيم فكانه قيل افئدة ناس
[illegible] في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة
وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر
والثاني ان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون
اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيها وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه
ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا
ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول
من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي
تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم
من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب
ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله تعالى اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى
اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف
وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى
الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه
المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك
من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف
بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر
دليل التضرع واللجا الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن
علما لا تفاوت فيه لان غيب السموات لا يخفى عليك والمعنى انك اعلم باحوالنا
وما يصلحنا وما يفسدنا منا وانت ارحم منا وانصح لنا منا بانفسنا
ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا
لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها
الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد
على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى الكريم فابطا عليه النجح فاراد

ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين
ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي [illegible]
بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من [illegible] وما
نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال
الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف
وما يخفى على الله من شيء من كلام الله تعالى تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون
او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان
ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله
اني على ما تروني من كبري اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه
وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة
وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع
وستين سنة واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع
عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع
الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في
نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم لسميع الدعاء
كان قد دعا ربه وسال الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من
اجابته فان قلت الله يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من
قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث
ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما هذه الاضافة
اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء
وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب
زيدا او ضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون
من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد
سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض
لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين فقال

[illegible] وقرأ أبي ولأبوي وقرأ
سعيد بن جبير ولوالدي على الإفراد يعني أباه وقرأ الحسن بن علي ولولدي
يعني إسماعيل وإسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم
والعدم وقيل جمع ولد كأسد في أسد وفي بعض المصاحف لذريتي فإن
قلت كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين قلت
هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه إلا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه
آدم وحوا وقيل بشرط الإسلام ويأباه قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن
لك لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى
الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم يوم يقوم الحساب أي يثبت
وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على
ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس إذا أشرقت وثبت ضوؤها كأنها قامت
على رجل ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسنادا مجازيا أو يكون مثل
واسأل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد من ولده صنما بعد
دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله وجعله إماما وجعل من ذريته مقيمي
الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس أنه قال كانت الطائف من أرض
فلسطين فلما قال إبراهيم ربنا إني أسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها
رزقا للحرم فإن قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة وكيف يحسبه رسول
الله وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت إن
كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب
الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر كما جاء في الأمر
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه
غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على
قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد والله بما تعملون عليم يريد الوعيد
ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة
الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا

لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له
من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء
تشخص فيه الأبصار أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين
إلى الداعي وقيل الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف
مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد إليهم طرفهم لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا
يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان أو لا يرجع إليهم
نظرهم فينظروا إلى أنفسهم هواء الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به
فقيل قلب فلان هواء إذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للأحمق
أيضا قلبه هواء قال ... من الظلمان جؤجؤه هواء لأن النعام مثل
في الجبن والحمق قال حسان فأنت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج أفئدتهم
هواء صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب
مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة ومعنى أخرنا إلى أجل قريب ردنا إلى الدنيا
وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع
رسلك وأريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات
ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب
كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق أولم تكونوا أقسمتم على إرادة القول وفيه
وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والشقوة
وأن يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وما لكم جواب القسم
وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى
أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى
يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت يقال
سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن
السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك قر في الدار
وغني فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن
الدار كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا

وانتم ... من قبلكم في الظلم والفساد ولا تحدثون انفسكم بما لقي الاولون من ايام
الله ... فتعتبروا او ترتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة
كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال
اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا
مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو
اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم
فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند
الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا
يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ
في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوا
لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما
كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل
لايات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وينصره قراءة ابن مسعود
وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول
منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرا علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف وعده
رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت
هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت
قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال
رسله ليؤذن انه لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه
رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب
الوعد وهذه في الضعف كمن قرا قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو
انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم ياتيهم او على
الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه
المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت
الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف

كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه
قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل
تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها
عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس
بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها
وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض
وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها
احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك
ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت
كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى
غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع
بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان
يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين
والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل
وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق القطران فيه ثلاث لغات
قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب
من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته
والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج
به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه
لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار
في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه
ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ
من سخطه ونساله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس

او الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيمة ... يتغشون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع
في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى
وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت
او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين
لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية لهم في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله
ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب ولينذروا به معطوف على محذوف اي لينصحوا
ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ لينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له
وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر
حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله وعن النبي عليه السلم من قرأ سورة ابراهيم
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن
للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل
الجامع للكمال والغرابة في البيان قرئ بتخفيفهما وربما بالتشديد والتخفيف وربما
وربما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد
ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي
المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى يكون ودادتهم
قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل
اذا راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الوداده فان قلت
فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم
على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله
ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا
الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من الغم المتيقن

ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الايمان مرة واحدة
فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين
حكاية ودادتهم وانما جيء به على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن
ولو قيل لو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا او قيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون
مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا ذلك ذرهم
يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة
وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول
الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء
صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانه لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر
لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل
ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى
يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار
فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامال وهذه هجيرى
اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين
ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله
تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة
بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم
مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح مبين الى الحق قوله ما تسبق
من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة ثم ذكرها حملا على اللفظ والمعنى وقال
وما يستاخرون حذف عنه لانه معلوم وقالوا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون
والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع
منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والعرب
انك لمجنون قول الجاهل حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ركبتهم لو ما

... امتناع الشيء ... ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها
... لوما الحيا ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري عوري ع
والمعنى انك تقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو كنت من اهلا
تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا
كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول
ونزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة
والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي عليه السلام
لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء
لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا
الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك
قال انا نحن واكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل
الى محمد ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه
في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه
لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا
فكان التحريف ولم يكل القران الى غير حفظه فان قلت حين كان قوله انا نحن
نزلنا الذكر ردا لانكارهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت
قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده اية لانه لو كان من قول البشر او غير اية لتطرق
عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله
عليه السلام كقوله والله يعصمك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة
اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم
وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا
على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها
ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر

في قلوب المجرمين على معنى انه نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول كما
لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا
الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون النصب على الحال
اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها
الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة
على تكذيبهم قرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار
من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من
الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء
المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج
يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له
ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون
في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين
لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار
من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات
فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها
شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار يقتضيه
لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن
من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل
والخبائث فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمز او اخراج الياء بين بين وقرئ
معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل
لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم
معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم
يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام
والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم هم الرازقون
ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور

[illegible] والمعنى ما من شيء ينتفع به العباد الا نحن قادرون
[illegible] الانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة
له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح
لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير عقيم والثاني ان
اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح
جمع مطوحة وفيه وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا
وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه
قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها
وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجزهم ونحن الوارثون اي الباقون
بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد
فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واجعله الوارث منا ولقد علمنا المستقدمين ولادة
وموتا ومن تاخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد
او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين في
صفوف الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسنا في المصليات خلف رسول
الله عليه وسلم وكان بعض القوم يتقدم لئلا ينظر اليها وبعض يتاخر ليبصرها
فنزلت هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط
كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كلما يفعله
على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء الصلصال الطين اليابس
الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته
مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا
انتن والحما الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل
المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في
امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما
سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من
حما وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور

منها تمثال انسان اجوف حتى اذا انقر صلصل ثم [illegible] والجان
للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقيل الحسن وعمرو بن عبيد [illegible]
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين
جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله
سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت
فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه
واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان منهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة
ثم استثنى بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا او لانه استثناء على تقدير قول
قائل هولاء سجدوا فقيل الا ذلك استكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى
حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك
في ابائك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح
مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الرحمة مطرود بالشهب
او مطرود من رحمة الله فان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن
هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء
او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حد اللعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس
في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو
عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك
اليوم عذبت بما ينسي اللعن معه يوم يبعثون يوم الوقت المعلوم
في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل
انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث
احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما
مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى
اغوائه اياه تسببه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه
وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامره ولكن
ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته

[illegible] قوله فبعزتك لاغوينهم فانه اقسام الا ان
[illegible] والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقها بينهما وعن [illegible] لا
يكون قسما وتقدير قسم محذوف وتكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم
لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم لان ازين لهم المعاصي واوسوس
اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى
اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له
الاكل من الشجرة وهو في السما فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد
لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازينها في اعينهم
ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا
اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده
لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان
على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل
لموعدهم الضمير للغاوين وتلك ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين دركات
والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى
لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى
والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرا
الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب
وخبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوقف مجرى الوصل المتقي
على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر
والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول
وقرا الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل
الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على
اخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جا ابن طلحه

فقال له علي كرم الله وجهه مرحبا يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن
قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له رجل كلا الله اعدل ان
نجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم
من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب
اخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة
حيث داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه
نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب
وعذابي لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب
بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه
هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون
وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرا الحسن
لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف
انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد انك مبشر به آمن للبشر
فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي ولد فان الولادة امر عجيب مستنكر
في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال باي
اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شي
تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشي لان البشارة بمثل هذه بشارة بغير شي
ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشروني
بالولد والبشارة به لا طريقة له في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان يكون البا
فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهو قول الله
ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر
وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني
وتبشرون بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ
ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون الا الضالون ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون
طريق الصواب او الا الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني

[illegible] قوم مجرمين [illegible] ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها الله
فإن قلت [illegible] قوله تعالى إلا آل لوط استثناء متصل أو منقطع قلت
لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لأن القوم موصوفون بالإجرام
فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا
كأنه قيل إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين فإن قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت نعم
وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم
المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال
الحجر أو السهم إلى المرمي في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا
قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال وعلى أن
الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الإرسال مخلصا
بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول فإن قلت فقوله إنا لمنجوهم
بم يتعلق على الوجهين قلت إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط
لأن المعنى لكن آل لوط منجون وإذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن إبراهيم صلوات الله عليه
قال لهم فما حال آل لوط فقالوا إنا لمنجوهم فإن قلت فقوله إلا امرأته مم استثني
وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس
من الاستثناء من الاستثناء في شيء لأن الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكناهم
إلا آل لوط إلا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق أنت طالق ثلاثا إلا اثنتين إلا واحدة وفي
قول المقر لفلان علي عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهما فأما في الآية فقد اختلف الحكمان
لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء
من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فإن قلت لم جاز تعليق فعل
التقدير في قوله قدرنا إنها لمن الغابرين والتعليق من خصائص أفعال القلوب
قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال
العباد بالعلم فإن قلت فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده إلى
أنفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي

ليس لأحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا [illegible] والمدبر والآمر الملك
لا هم وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون [illegible]
منكرون أي تنكركم نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشر بل
جئناك بما كانوا فيه يمترون أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه فرحك
وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون
فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وإنا لصادقون في الإخبار بنزوله بهم وقرئ
فأسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الإقليد فسر
من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم
كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى شيء صالح من الليل فإن قلت
ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك
على قومه ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد
في شكر الله وإدامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر أن يقدمهم لئلا يشتغل بمن
خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما
منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض
له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به
ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم
على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي
يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي إليه أخادعه كما قال
تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا أو جعل النهي عن
الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن من يلتفت لا بد
له في ذلك من أدنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا إلى حيث
تعديته إلى الظرف المبهم لأن حيث مبهم في الأمكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدي
قضينا بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا إليه مقضيا مبتوتا وفسر
ذلك الأمر بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم
له وقرأ الأعمش بالكسر على الاستئناف كأن قائلا قال أخبرنا عن ذلك الأمر

[illegible] في تأويل [illegible] وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم
يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد أهل المدينة أهل سدوم
التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة
ضيفي ان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد
اكرمه واتقوا الله ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او لا
تشيروني من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتدفع
عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى
الله عليه بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض لهم فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته
يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان
يضيف احدا قط هؤلاء بناتي اشار الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم
بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا
لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم
تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون اي لفي غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ
الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون
يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد
الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور
على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل
في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين
داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل
ودليله من القرآن حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين
للمتأملين وحقيقته المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة
سمة الشيء ويقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها
وسافلها للقرى آل لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت

يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله
وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم
لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما
فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به فسمي الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما
يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني
بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن
معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر قال مررنا
مع رسول الله على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا
باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع
حتى خلفها آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ويتداعى بنيانها
ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله لظنهم الله م
يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال
والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل
والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من عداك
ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما
الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل
هو منسوخ بآية السيف وعن ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك
هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري
بينكم وهو يحكم بينكم وان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح
اليوم اصلح الا ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو
يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقوله قطع الثياب وقطع الثوب والثياب
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة
فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل
سورة يونس وقيل الحواميم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي
التكرير

لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء
على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع فلما
وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما
فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن
اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا
اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه
ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها فان قلت كيف صح
عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت
اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع
على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران يعني سورة يوسف واذا عنيت
الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع
لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب
فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت
كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي
كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القران العظيم فعليك ان تستغني به
ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقران
وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل
مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات
سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وساير
الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها
في سبيل الله فقال لهم عليه السلام لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع
ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم
الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم
وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم
ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا

قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا
على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا بعنادهم
وعدوانهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه
الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة
لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم وقد
اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض
والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله
عليه السلام عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير
بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل
اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني
اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من
الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران
عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزؤن القران الى سحر وشعر
واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل
مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان
برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب
والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا
على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا
علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما
قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو
مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن
الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من
عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال
ذوبه وليس دين الله بالمعضى
وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش

[illegible] الفاضحة والمستقبحة تفصيلها على
الاول و[illegible] لنسألنهم عيانا عن الوعيد وقيل يسالهم سؤال
تقريع وعن ابي العالية يسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين
فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره بقولك صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك
صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع
فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار
كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر
المبني للمفعول عن عروة ابن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف
الوليد ابن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود ابن المطلب
والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلم امرت ان
اكفيكهم فاوما الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه
فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واوما الى اخمص العاص ابن وائل فدخلت فيها
شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات واشار
الى عيني الاسود ابن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث ابن قيس فامتخط قيحا
فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه
بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي
القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة
السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت
اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه انه كان اذا حزبه امر
فزع الى الصلوة عن رسول الله عليه السلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب
بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع

وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه وروي انه لما نزلت اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون
حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس
حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا
مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤسهم فنزلت
فلا تستعجلوه فاطمانوا وقرى تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى
عما يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركا او عن
اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم
قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرى تشركون
بالتاء والياء ينزل قرى بالتخفيف والتشديد وقرى تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح
من امره بما تحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في
الجسد وان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا
اي بان الشان اقول لكم انذروا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا اعلمته والمعنى يقول لهم
اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر
مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من
خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا تعلمون من اصناف
خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرى تشركون بالتاء والياء فاذا هو خصيم
مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين
للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته
والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان
بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف
الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم
الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر
كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام
ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان الدفء اسم ما يدفا به

اي اعلموا [illegible] انذروا [illegible]
[illegible] لا اله الا [illegible]
[illegible] انذروا [illegible]

... ما يدفأ به ... من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دفٌ
بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هو نسلها ودرها وغير ذلك فان
قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها
قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها
من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل
ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلون منها وتكتسبون باكراء
الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها من اثمانها فالتجمل بها كامن بالانتفاع
بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي
وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء
انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه
والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة تواري سوآتكم وريشا فان قلت
لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأ البطون
حافلة الضروع ثم اوت الى الحظاير حاضرة لاهلها وقرا عكرمة حينا تريحون وحينا
تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله
تعالى يوما لا تجزي قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة
وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو
الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت
ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل
اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم
تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت فكيف
طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه
قلت طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه
بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى
لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد
مكة لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال

والحمير عطف على الانعام اي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل
لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان
قلت لم انتصب زينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على
محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن
واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق
وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا
منها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يراد
به ما خلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء
المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا
دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل
على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل
الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جاير والقصد مصدر بمعنى الفاعل
وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه
السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل اي هداية الطريق الموصل
الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام
في قوله ومنها جاير قلت ليعلم ما يجوز اليه اضافته من السبيلين وما لا يجوز
ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جايرها او وعليه
الجاير وقرا عبد الله ومنكم جاير يعني ومنكم جاير عن القصد بسوء اختياره
والله بريء منه ولو شاء الله لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او
بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي
حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا تسيمون من سامت الماشية
اذا رعت فهي سايمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها
تؤثر بالرعي علامات في الارض قرئ ينبت بالياء والنون فان قلت
لم قيل من كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض
بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته
وحكمته

و[illegible] وعن حفص ننبت بالتشديد وقرأ الجحدري [illegible] ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والأعناب [illegible] بالرفع قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات
[illegible] تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون
من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون
بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره ويجوز أن يكون
المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله
مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ
بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم
مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وجمع الآية
وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة
للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من
حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر [illegible] السمك ووصفه
بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه فإن قلت
ما بال الفقهاء قالوا إذا حلف الرجل لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما
قلت مبنى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لا يفهم
منه السمك وإذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار
ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف
حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان تلبسونها والمراد
لابسها من خلالهم ونسائهم لأنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم مواخر شق
الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل بالتجارة
أن تميد بكم كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به إذا ركب البحر قيل
خلق الأرض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد
أرسيت فيها الجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وأنهارا وجعل فيها أنهارا لأن
ألقى فيه معنى جعل ألا ترى إلى قوله ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وعلامات
وهي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم

الجنس كقولك كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش
والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وضمة وسكون [illegible]
تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فإن قلت [illegible]
مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء
خصوصا يهتدون قلت كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم
في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار
ألزم لهم فخصصوا أفمن يخلق كمن لا يخلق أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي
هو لأولي العلم قلت فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها
فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق
ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني
أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم
أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء صح أن يعبدوا فإن
قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى
فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق وكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق
قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا
بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك
بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا
أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها
ما لا ينحصر ولا يعد إن الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا
يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة لكفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
من أعمالكم وهو وعيد والذين تدعون والآلهة الذين تدعونهم الكفار من دون الله
وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم
خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون
وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة

الى المعبود كانوا احيا غير اموات اي غير جايز عليها كالحي الذي يموت وامرهم
على العكس من ذلك وما يشعرون ... لا يشعرون متى تبعث عبدتهم
وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت
جزا منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم
التكليف ووجه اخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت
والتصوير وهم لا يقدرون على ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة
فيها غير احيا يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها
الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات
لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي
وما يعلم هولا الالهة متى تبعث الاحيا تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف
بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد
بالذين الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت يدعون
غير احيا غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان
بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية
لغيره وانها لواحد لا شريك له فيها وكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح
دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها
وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد
انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز
ان يعم كل مستكبر ويدخل هولا تحت عمومه ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شي
انزل ربكم او مرفوع بالابتدا بمعنى اي شي انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير
الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير
الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام
متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير الاولين قلت هو على السخرية
كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين
الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله اذا سالهم وفود الحاج عما انزل

على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا
للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل
بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا
يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل اي يضلون من لا
يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان
عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد اساطين
البنا التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات
ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا
وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف
فهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان
حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح
فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة
القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى
الله بنيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الاخرة شركاي على الاضافة
الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزا بهم تشاقون فيهم تعادون
وتخاصمون المومنين في شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني
لان مشاقة المومنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبيا والعلما من اممهم
الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم
ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا
لمن سمعه وقيل هم الملائكة وقرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام
التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاوا بخلاف ما كانوا عليه في
الدنيا من الشقاق والكبر قالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان
فرد عليهم اولو العلم الا ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة
وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول

من النحل

[illegible] جواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا
[illegible] على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال وقالوا خيرا اي
انزل خيرا او لما عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس
من الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر
النبي فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان
خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه
فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا
وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول المؤمنين الذين اتقوا
اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما
مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ما هو ضدهم عقولهم فاتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص
بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص
بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون
سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت فقال السلام عليك يا ولي الله
الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة تاتيهم الملائكة قرى بالتاء والياء يعني ان
ياتيهم لقبض الارواح او امر ربك العذاب المستاصل او القيمة كذلك اي مثل ذلك
الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات
اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا جملة ما عدد من اصناف كفرهم
وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله
استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني
انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا
فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم يفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين
من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوا على ربهم
فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان

والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله [illegible]
بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على [illegible]
عن قبحها وموعدهم عليه ولقد اخذ ابطال قدر السوء ومشيئة الشر [illegible]
الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر
الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف
ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما
على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا وانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم في انحا
اقدر الشر ولا اثارة وحينئذ فعلها افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش
وحرص رسول الله علم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا
يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من سبيل
القبائح التي لا يجوز عليه وقرى لا يهدي اي لا يقدر احد ولا احد على هدايته وقد
خذله الله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض
النصر ويجوز ان يكون بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله
لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرا لا يهدي على البناء للمفعول وفي
قراءة عبد الله بادغام تا تهتدي وهو معاضدة للاولى وقري يضل بالفتح وقرا
النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغة واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا
ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان حقيقتان بان تحكيا ويدونا توريكهم ذنوبهم على
مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه بلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم
وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله ومن بان الوفا
بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لانه
وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من واجب
الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت
وهو عام للمؤمنين والكافرين الذي يختلفون فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد
بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة

قبله

مفتر على الله الكذب انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون من كان التامة
التي بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له
احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف عليه وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع
عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الآمر المطاع
اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على
الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات
وري فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة
ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر
الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا
تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم
انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله
وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال عمر نعم الرجل صهيب
لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف
في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر اى لنبوئنهم تبوئة حسنة
وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا
منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى
اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه
قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك ربك في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكثر
وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا
يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا
والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اى لو كانوا يعلمون
ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعني الذين
صبروا وكلاهما مدح اى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم
الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة
وبذل الارواح في سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا

لو لم يخف الله لم يعصه

فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فسئلوا اهل الذكر اهل
الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا [illegible]
بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما
ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اى
رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات
فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اى يوحى اليهم بالبينات واما
بلا يعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت
لك فاعطني حقي وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل
الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل
اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا
ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا افامن الذين مكروا
السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام
في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم على تخوف متخوفين
وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون
وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته
اذا تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف
عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل
فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم قال شاعرنا وانشد هذا البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم
لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم
لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم اولم يروا
وتتفيؤا بالتاء والياء الى ما موصولة خلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا
ظلاله والمعنى عن اليمين سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير

والنهار لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور
من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما
خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد
منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال
من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام
في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان
يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون
فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات
الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة
وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم
ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة
وغيرهم فان قلت سجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقياده
لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا
فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا
للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب
وكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون
يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون
بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم
ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته
بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق
عباده وانا فوقهم قاهرون فيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر
والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء فان
قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا
عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص
فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان

يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم
الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص
فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد
شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله
ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون
نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات
وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم
الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة
منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة
ومشقة ولذلك سمي تكليفا اي وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب
والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم واتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون
فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة
والقاء حركتها على الجيم وقرا قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو
اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله
اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة
من الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان
لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم
جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد
وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا
فتمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون اي
لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع
وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع فهم اذا جاهلون
بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها

نصيبا [illegible] الاوثان يجعلون ذلك تقربا اليهم لتسئلن وعيد عما
كنتم تفترون [illegible] انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة
وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له تعالى من نسبة الولد اليه او تعجب
من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتدا
والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من
الذكور وظل بمعنى صار كما تستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان
يجي ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة
والحياء من الناس وهو كظيم مملو حنقا على المراة يتوارى من القوم يستخفي منهم
من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم وعدّه نقصا لنفسه وينظر ايمسكه ما بشر به
على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام
يدسها على التانيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذى
هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكسه هذا الوصف مثل السوء
صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن خشية
الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغني عن العالمين
والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك
عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة
انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت
في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم
او من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآبا
بكفرهم لم يكن الابنا ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركا في رياستهم
ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم
اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة
اذا قال الله هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع
الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يوبه له

اما [illegible] من ذلك الموقف وقرا هذه الآية [illegible] ان لهم الحسنى بدل من الكذب
لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة [illegible]
مفرطون فنافع بمفتوح الرا ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح [illegible] مقدمون
الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الما اذا قدمته وقيل منسيون
متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط
في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال
الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم
عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية
للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا
للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار
قبلهم اعمالهم فهو ولي هولاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو
ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما
مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على التبيين لانه فعل المخاطب
لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعلا لفاعل الفعل المعلل الذي اختلفوا
فيه البعث لانه كان فيهم من يقر به ومنهم عند المطالب واشيا من التحريم والتحليل والانكار
والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع
ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف من الاسما المفردة الواردة على افعال كقولهم
ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المومنين فلان معناه
الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان
يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام
نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى
الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم
من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك
كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا

وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري
الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته
وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الإخلاص فقال هو تمييز العمل
من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال
لم يغص أحد باللبن قط وقرئ سيّغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين
ولين فإن قلت أي فرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض
لأن اللبن بعض ما في بطونها كقولك أخذت من زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية
لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدى فهو صلة لنسقيكم كقولك
سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف
أي كائنا من بين فرث ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم
كان صفة له وإنما قدم لأنه موضع العبرة فهو قمن بالتقدم وقد احتج بعض من
يرى أن المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وأنه
ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم
طاهرا فإن قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب قلت
بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها وحذف لدلالة
نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الإسقاء أو
يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها
ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من أرمى البشر
تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا
لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فإن قلت فالام يرجع
الضمير في منه إذا جعلته ظرفا مكررا قلت إلى المضاف المحذوف الذي
هو العصير كما رجع في قوله تعالى أو هم قائلون إلى الأهل المحذوف والسكر الخمر سميت
بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال
وجاؤونا بهم سكر علينا فأجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان أحدهما
أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني أن يجمع بين العتاب

والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب
ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة إلى حد السكر ويحتج بهذه
الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ولقد
صنف شيخنا أبو علي الجبائي كتابا في تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه
السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال
تناولته الدعارة فاستخف في المروءة وقيل السكر الطعم وأنشد
جعلت أعراض الكرام سكرا أي تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وأنه إذا ابترك
في أعراض الناس فكأنه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك
ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن
الإيحاء إلى النحل إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد
إلى الوقوف عليه وإلا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها
دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أولى أولي العقول
عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى
أن اتخذي هي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لأجل
الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون
للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس
فإن قلت ما معنى من في قوله أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبني بيوتها
في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل الثمرات إحاطة بالثمرات التي
تجرسها النحل وتعتاد أكلها أي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهينها فإذا أكلتها
فاسلكي سبل ربك أي الطرق التي أفهمك وألهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت في سبل
ربك أي مسالكه التي يحيل فيها النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ مأكلك أو إذا
أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر
عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد
البعيد في طلب النجعة أو أراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي أكل الثمار فاسلكي في طلبها في مظانها

ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها ووطأها وسهلها
او من الارض او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل
منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف
الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية
والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل
وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء
الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي عليه السلام ان رجلا جاء اليه فقال
ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال سقيته فما نفع فقال
اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه الله فشفاه فبرا
فكانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء العسل
لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تاويلات الروافض ان المراد
بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم وقومه
فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور
فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم الى ارذل العمر الى الخسة واخسه وهو خمس وسبعون
سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لكيلا يعلم اي لينسوا ما علمهم لكيلا
يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وان يعلم
شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله
الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم
افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل
ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه
سمع رسول الله عليه السلام يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون
فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله
يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له
شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه
شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل

المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم
يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم
على ايديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء
من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة
ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد حولهن واسلمت
باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد
الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما
يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله
سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون
اي جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما
طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة
الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل
ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن وبنعمة الله المشاهدة
المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون منكرون لها كما ينكر
المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة
والسائبة وغيرها ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق
فان اردت المصدر نصبت به شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا
للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك من السموات والارض صلة للرزق وان كان مفردا
بمعنى ما يرزق من السموات مطرا والارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق
والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الآلهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز
ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب
من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون
بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع
وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات
الا ان تقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم

لا يملكون ان يرزقوا ولا يمكنهم ان يملكوا ولا استتب ذلك منهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال
تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة
ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب
على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جركم الى وجراكم
عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم
كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم
بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك
قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شا فان قلت لم قال
مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر
المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر
على شيء فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد
هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه
ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا
ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت
معناه هل يستوي الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم
وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله
ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو على
سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل
والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان
ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه
الدينية والدنيوية والاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه
بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجه
على البنا للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن
العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه
غايب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب

او هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح
البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده
دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحيا واحيا
الاموات من الاولين والاخرين يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء
قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل
على قدرته بما بعده وقرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والها مزيدة في امات
كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال
امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين
شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق
الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشيا الا آلات لازالة
الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته
والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافيدة في فواد كالاغربة في غراب
وهو من جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جا شسوع في جمع
شسع لا غير فجرت ذلك المجرى وقرئ الم تروا بالتا واليا مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهوا المتباعد
من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في
قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر
والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع
اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها
ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقل والنقض يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم
ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم
ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى
الوقت ومتاعا شيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى
الحضر
ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات

اكنانا جمع كن وهو ما ستر كالكهف والبيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف
سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر
[illegible] عندهم اهم وقيل ما يقيهم البرد لكونه كثيرا
محلا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم
باسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره
لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمته الفايضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ
تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل
تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فان لم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك
بعدما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ المبين اي
المبين يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل
انكارهم قولهم ورثناها من ابائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم
الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد
فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين
وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم
الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة
على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف
لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب
ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل ترك الاذن على ان لا
حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم
هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم
منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب
اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا
فيه وكذلك واذا راوا العذاب بغتتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون

بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية واذا راى الذين اشركوا شركاءهم يعني [illegible] في
دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر [illegible]
الغي وندعو بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم [illegible]
على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة
والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم
لا انهم المعبودون حقيقة او كذبوهم بتسميتهم شركاء والهة تنزيها لله عن الشريك
وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول
الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقوا السلم
الاستسلام لامره وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم
ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا
منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا
كفرهم وقيل في زيادة عقابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع
احديهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى
الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكفرهم وصدهم
الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبيا
الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير
تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القران فان قلت
كيف يكون القران تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث
كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته
وقال وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي
رسول الله لامته اتباع اصحابه والاقتداء باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة
والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل
شيء العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا
تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد ان يقع فيه تفريط
فيجبره الندب

وعليكم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه الفرائض فقال والله لا زدت ولا نقصت فقال افلح
ان صدق ولا يفوته الفلاح بترك الشفقة والسلامة من التفريط وقد قال عليه السلام استقيموا
ولن تحصوا فما بقي الا ان ترك ما يجب عليه من التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز
حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين
اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضوان الله عليه اقيمت هذه الآية
مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنّها
غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكان سبب
اسلام عثمان بن مظعون عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله
واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا
لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة
التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما
ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر
ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها
من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي
اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودخلا ان تكون
امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين
انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم
اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من
ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم
وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك
ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم
عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر
على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على

الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه [illegible] ولو
كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسئلون عنه [illegible] كرر النهي عن
اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد
ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليه وتذوقوا السوء في الدنيا
بصدكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة
وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة
كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم
المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا
عليه رسول الله فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا
قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان
ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم ينفد وما عند الله
من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين
ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت استعظام
ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت
من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح
على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر
او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو
الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا
يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو
القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا
فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس
الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل
هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به
قوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة

التهجد [...] اراد عليها الثواب والشيء اذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله فاذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله فان قلت
لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد
والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن
ابن مسعود قرأت على رسول الله فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم
عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون
منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه
به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه
تبديل الاية مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح
وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى
عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشا وينسخ ما يشا بحكمته وهذا معنى قوله والله
اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم
عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر
وينهاهم عنه غدا ويأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون
والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان
والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الاية بالاية دليل على ان القرآن انما ينسخ
بمثله ولا نسخ بغيره من السنة والاجماع قلت فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه
نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه
بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ
القرآن بها في ينزل وبما ينزله مما بينهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح
اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة
واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو
الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد
وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع

الحال نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ
حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة
القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول
لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر
غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش
وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان
جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان رسول
الله عليه السلام اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال
بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وهو
ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة
عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه
عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن
الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن
اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم
ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله لا يهديهم الله لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم
الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الاخرة لا من اهل اللطف
والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن
لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين
لا يؤمنون او اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات
الله اعظم الكذب او اولئك الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة
ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله

... اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب
... واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن
من شرح بالكفر صدرا اى طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز
ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه اولئك هم الكاذبون
او من الخبر الذي هو الكاذبون على اولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان
ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه
لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب روي ان ناسا
من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة
الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال
وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة
وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام
واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى
عمار رسول الله عليه السلام وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك
فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم
وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اى الامرين افضل افعل عمار ام فعل
ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام
وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال
انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد
عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله
واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب
يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم
اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر
العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك
وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم

كما

كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور ... من بعد ما فتنوا بالعذاب
والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اى بعد ما فتنوا المؤمنين
كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر
يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة
الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس
الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي
كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة
عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله
مثلا قرية اى جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم
النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه
الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة
انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج
والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء
كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي عليه السلام بالموسم
بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة
ايقاعها قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها
في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر
واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر
والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان
والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف
فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع
والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا
لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ها هنا ونحوه قول
كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء

فاذاقها الله لباس الجوع والخوف

[illegible] عن الرداء آلما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو
[illegible] صفة الرداء نظرا إلى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه
إلى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر أراد بردائه سيفه
ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر إليه فيما نحن
فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكا
وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ
بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس أو على
تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ
لباس الخوف والجوع بما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أحلت به من كفرها وسوء
صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي
كانوا عليها بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر إنعامه بذلك
وقال إن كنتم إياه تعبدون يعني تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادتكم
الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم
بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه وانتصاب الكذب
بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم البهائم بالحل والحرمة في قولكم
ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك
الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا
لما أحل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز أن يتعلق
بتصف على إرادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال
وهذا حرام ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال
وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا
تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم لا لأجل
حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فإن قلت ما معنى وصف ألسنتهم
الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه

فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته [illegible]
وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب [illegible]
كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف
وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة
وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا
ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل
خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة
وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الأنعام بجهالة في موضع الحال أي
عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة
عليهم من بعدها من بعد التوبة كان أمة فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم
لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني أن يكون أمة بمعنى
مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة
وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله إني جاعلك للناس إماما
وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال إن معاذا
كان أمة قانتا لله فقلت غلطت إنما هو إبراهيم صلوات الرحمن عليه فقال الأمة الذي
يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه أنه
قيل له ألا تستخلف فقال لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ
حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فإني سمعت رسول الله يقول أبو عبيدة
أمين هذه الأمة ومعاذ أمة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلين
وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى أي كان
إماما في الدين لأن الأئمة معلمو الخير والقانت القائم بما أمره الله والحنيف
المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش
في زعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم شاكرا لأنعمه روي أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف
فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر

... عليهم ... حذا ... فقال الآن وجبت ... اكلتم شكر الله
... اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى
صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى
ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل هو قول المصلي منا
كما صليت على آل ابرهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك ثم هذه ما
فيها من تعظيم منزلة رسول الله واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله
عليه من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله عليه السلام ملته من قبل
انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله
عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال
السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه
تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة
بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذلك نحو المعنى في ضرب ذكر
القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة
المخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا
كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم
في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا
في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي
فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا
بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله
لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم
القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض
عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرا
عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة
وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم

انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان ... القرآن ...
هو كتاب وحكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن ...
واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ
القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل فكانك تضرب منه في
حديد بارد سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع
سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان
تتبعتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم وروي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد
بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف
رسول الله على حمزة وقد مثل به فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني
الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم
المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير
في لهو الى الصبر وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم
لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد
ووصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد
دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله
فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسول الله عليه السلام واصبر
انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه فلا تحزن
عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون
فلا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف
الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله
مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم
وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية في المال ولا مال لي واوصيكم
بخواتيم سورة النحل عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم التي انعم عليه في دار
الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات
بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك
اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل
على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله. اسرى وسرى
لغتان. ليلا نصب على الظرف فان قيل الاسرا لا يكون الا بالليل فما معنى
ذكر الليل قيل اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسرى
به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير
فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل
اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف
في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن
النبي عليه السلام بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني
جبريل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم
لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنه الحرم كله مسجد وروي
انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشا واسري به ورجع من ليلته وقص القصة
على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت
ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني
فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسرا فقال ابو جهل يا معشر بني كعب
بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد
ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد
فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب
فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع
طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال
قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال اخر والله هذه العير قد اقبلت
يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به

وجه تسمية ابي بكر صديقا

الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس اخبر قريشا ايضا بما راى في السماء
من العجائب وانه لقي الانبياء صلوات الله عليهم وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا
في وقت الاسرا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث
واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما
فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن
كان في المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك. والمسجد الاقصى بيت المقدس
لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد. باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد
الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار
المثمرة وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل
اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات
التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله فيهذبها ويخلصها
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك الا تتخذوا قري بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء
على ان لا تتخذوا او اكون لكن كتبنا لئن لا تفعلوا كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا الا تتخذوا بالتاء على
النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقيل مفعول وكيلا
ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا ومن ذريته المحمول مع نوح عيسى وعزير وقري ذرية من حملنا بالرفع
بدلا من واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فتحها
بوزن الولد وذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا
شكورا قيل اذا كان اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال
الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لاظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء
اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته
قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا
اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت
قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دو

مطلب

[illegible] إنه كان عبدا شكورا وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه
[illegible] آباؤكم أسوتهم ويجوز أن يكون تعليلا للاختصاص
والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك
الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا
إلى بني إسرائيل وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون
في الأرض لا محالة ويعلون أي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة لتفسدن جواب
قسم محذوف ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له
كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء
من فسد مرتين أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله والآخرة
قتل يحيى ابن زكريا وقصد قتل عيسى ابن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا وأكثر
ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس
جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا
فإن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت
معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله تعالى أسند بعث الكفرة عليهم
إلى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقوله
الداعي وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم
فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء
وقرئ فجوسوا خلل الديار فإن قلت ما معنى وعد أولاهما قلت معناه
وعد عقاب أولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل ثم
رددنا لكم الكرة أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد
والعلو قيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع
الملك إليهم وقيل هي قتل داود جالوت أكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل
من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز أي الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم
لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت
إليه وتلاها فإذا جاء وعد المرة الآخرة بعثنا ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة

ذكره أولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة
فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى أو للوعد
أو للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن
بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف هو وبعثناهم ليدخلوا
وليسوءن جواب إذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء علوه واستولوا
عليه أو بمعنى مدة علوهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم
عن المعاصي وإن عدتم مرة ثالثة عدنا إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة
بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه
فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم
هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير
وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي أقوم للحالة التي هي أقوم الحالات
وأسدها أو للملة أو للطريقة وأيتها قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي
تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه وقرئ ويبشر
بالتخفيف فإن قلت كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة
قلت كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما حدث أصحاب
المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فإن قلت علام عطف وأن الذين لا يؤمنون قلت
على أن لهم أجرا كبيرا على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب
أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعو لهم بالخير ولو يعجل الله للناس الشر
استعجالهم بالخير وكان الإنسان عجولا يسارع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله
لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي عليه السلام أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل
يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا ألم القيد فأرخت له من كتافه فلما نامت أخرج
يده وهرب فلما أصبح النبي عليه السلام دعا به فأعلم بشأنه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها
فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي عليه السلام إني
سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما

... يديهما ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو
بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان
الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس
هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت
عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون
الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية
التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل
والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه
مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا
اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق
له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس
ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض
النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين
عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب
الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه
بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا
القول فيه في سورة النمل عن ابي عبيدة هو من قولهم طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه
ما طار عليه والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب
تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن
آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون
ونخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير له تعالى ويخرج على البناء للمفعول ويخرج
خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه
بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة
ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن
في الدنيا قاريا بنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح

بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا
ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي
المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي
والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا
ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن
آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها
لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب
قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم
قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم
متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع
التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول
من جملة التنبيه على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق
من زمان امهالهم الا قليل امرنا مترفيها ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففسقوا والامر مجاز
لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه
المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات
فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا
فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير
والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا
حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه
امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف
حذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل
عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به
قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا ولو ذهبت
قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض
الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور

في هذا الكلام [illegible] لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به
وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد
الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر
بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك
لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف
الامر الى المجاز هو الوجه ونظير شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده
عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة
فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه
من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال
صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب
فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي
كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله اني ارى امرك هذا حقيرا فقال
عليه السلام انه سيأمر اي سيكثر وقرئ امرنا من امر وامره غيره وامرنا
بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول
اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا
بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه
عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة همته ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر
الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما
تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا
من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك
البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة واما المؤمن التقي
فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يؤت فان
اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له
وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء
وقيل الضمير لله تعالى فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد

على ان العبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لو [illegible]
[illegible] من يعمل للاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر
الدنيا
كقوله عليه السلام من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت
هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مذموما
مطرودا من رحمة الله سعيها حقها من السعي وكفاها من الاعمال الصالحة واشترط
ثلث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار
الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين
من لم تكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا
هذه الاية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض
من المضاف اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف منهم مددا للسالف لا نقطعه
فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا
اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين
في التفضيل وللاخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة
وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال
وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا
ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في
الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ واكثر تفضيلا
وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب بالمباهاة بالرفع
في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها
حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك
من الهلكة والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا
به الا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا
بالوالدين احسانا وبان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ ووصى وعن ابن عباس ووصى
وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك

... لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا
يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من
الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت
لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت
لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون
مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا
وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما
فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول
اف صوت يدل على التضجر وقرئ اف بالحركات الثلث منونا وغير منون الكسر
على البناء والفتح تخفيف الضمة والتشديد ككثم والضم اتباع كمنذ فان
قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على
ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا
وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل
معهما وطاة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر
منهما او يستثقل من مونهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية
بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء
بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر
مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها
في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي
والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما
يقتضيه حسن الادب والنزول على المروة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه
كما قال ابرهيم عليه السلم لابيه مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء
الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة نحلني ابو بكر
كذا وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله
جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض جناحك للمومنين
الى

فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود
والثاني ان تجعل لذله او لذله جناحا
كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من فرط
رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله
اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته
الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك صغيرا وتربيتهما لك فان قلت
الاسترحام لهما لا يجوز اذا كانا كافرين قلت اذا كانا كافرين فله ان
يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس
من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسيل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت
فقال كل ذلك واصل اليه ولا شي انفع له من الاستغفار ولو كان شي افضل منه
لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي
عليه السلم رضى الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شا ان
يفعله فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شا ان يفعله فلن يدخل الجنة وروي سعيد بن
المسيب ان البار لا يموت ميتة سو وقال رجل لرسول الله عليه السلم ابوي بلغا
من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان
ذلك وهما يحبان بقاك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول
الله اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا على عصا فساله فقال انه كان
ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيا من مالي واليوم انا ضعيف
وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلم وقال ما من حجر
ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكا الى رسول الله سوء
خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق
قال لم تكن سيئة الخلق حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين
اسهرت لك ليلها واظمات نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها
على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة واحدة وعن ابن عمر انه راى رجلا في الطواف يحمل
امه ويقول اني لها مطية لا تنفر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر

[illegible] نهاها ابن عباس قال لا ولو دقوا واحدة عنه
[illegible] الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها
[illegible] ولا شيخ زانٍ ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب العالمين
وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا
يناوله الخمر ويأخذ الإناء منه إذا شربها وعن أبي يوسف إذا أمره أن يوقد تحت قدره
وفيها لحم الخنزير أوقد وعن حذيفة أنه استأذن رسول الله عليه السلام في قتل أبيه
وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين
فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال لا ترفع صوتك عليهما ولا
تنظر شزرًا إليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما
ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما وعن النبي عليه السلام
إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه ربكم أعلم بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر
إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح
والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر
أو لحمية الإسلام هنة تؤدي إلى أذاهما ثم أبتم إلى الله واستغفرتم منها
فإنه كان للأوابين غفورًا للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من
الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير وعن سعيد بن المسيب الأواب الرجل
كلما أذنب بادر إلى التوبة ويجوز أن يكون هذا عامًا لكل من فرطت منه
جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده
على أثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما
وأن يؤتوا حقهم وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب
وكان الرجل موسرًا أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة إلا على
الولد والوالدين فحسب وإن كانوا مياسير أو لم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم
صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين
وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد أولي
ذوي القرابة من الحق وهو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذي القربى أقارب رسول الله عليه السلام

التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وكانت الجاهلية تنحر [illegible] وتتياسر
عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها فأمر الله بالنفقة في
وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو إنفاق المال في غير حقه وعن مجاهد
لو أنفق مدًّا في باطل كان تبذيرًا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه
لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله بسعد وهو
يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أو في الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر
جار إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لأنه لا شر من الشيطان
أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف أو هم قرناؤهم
في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورًا فما ينبغي أن يطاع فإنه
لا يدعو إلا إلى مثل فعله وقرأ الحسن إخوان الشيطان وإما تعرضن عن ذي
القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورًا أو لا تتركهم غير
مجابين إذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئًا وليس عنده أعرض عن
السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدمًا
عليه أي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدًا جميلا رحمة لهم وتطييبًا لقلوبهم
ابتغاء رحمة من ربك أي رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط
أي وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة
فرددتهم ردًّا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان
الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببًا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز
أن يكون معناه وإنما تعرضن عنهم وإن لم تنفعهم وترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة
ولا يريد بالإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطي أعرض بوجهه
يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس وهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله
وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كأن معناه قولا ذا ميسور وهو
اليسر أي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي
هو بين الإسراف والتقتير فتقعد ملومًا فتصير ملومًا عند الله لأن المسرف غير مرضي
عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانًا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير

[...] عند نفسك اذا احتجت [...] ندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء
[...] منه وحسيرة بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله
[...] اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى
ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا
فلم يخرج الى الصلاة وقيل اعطى الاقرع ابن حابس مائة من الابل وعيينة ابن حصن فجا
عباس ابن مرداس وانشا يقول   اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع   العبيد فرسه
وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع   وما كنت دون امرئ منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع   فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل
فنزلت ثم سلى رسول الله عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه
ولا لبخل به عليك لكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة
والمصلحة ويجوز ان يراد ان البسط والقبض انما هما امر الله الذي الخزائن في
يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط لعبده او
قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض
عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم
كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ
خشية بكسر الخا وقرئ خطا وهو الاثم يقال خطئ خطا كاثم اثما وخطا
وهو ضد الصواب اسم من اخطا وقيل هو والخطا كالحذر والحذر وخطا
بالكسر والمد وخطا بالفتح والمد وخطا بالفتح والسكون وعن الحسن
خطا بالفتح وحذف الهمز كالخب وعن ابي رجا بكسر الخاء غير مهموز فاحشة
قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب
على غيره امراته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو النكاح
الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى ثلث الا ان يكفر او يقتل مؤمنا عمدا
او يزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه الذي بينه وبينه
قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا

على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف في القتل الضمير للولي
فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كانوا اذا قتل منهم
واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير ابن الحارث بن عباد بوء
بشسع نعل كليب وقال   كل قتيل في كليب غرة   حتى ينال القتل آل مرة
وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرا ابو مسلم صاحب
الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليستانف الامر
وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل
المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما
للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك
وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ
ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره
في الاخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور
بايجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن
وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا
يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي
بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب
العهد كان مسئولا وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل
كل ميزان صغير وكبير من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة
وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا
تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به
من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو عام والمراد
النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا
ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن
الحسن ولا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل
وسمعته ولم تره ولم تسمعه وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا

... بهن الحيا لا يشعن التقافيا أي التقاذف

وقال الكميت ولا أرمي البريء بغير ذنب ولا أقفو الحواصن إن قفينا

وقد استدل به من أبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد أولئك الأيام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للإنسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت ما لم يحل لك النظر إليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا أي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الأخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد لن تخرق الأرض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وقرئ سيئه وسيئة على إضافة سيء وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان سيئاته فإن قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا ألا ترى أنك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين إسنادها إلى المذكر والمؤنث فإن قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك إشارة إلى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر إلى هذه الغاية وسماه حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله تعالى فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها

ومن

ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وإن بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم أفأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردأها وأدونها للسادات إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان كان إذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا وقرئ كما يقولون بالياء والتاء وإذن دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب لمقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لتقربوا إليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فإن قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا

... ثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح
... على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة
وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت
التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة
محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل
مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه
حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما
كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب كانه قال واذا قرات القرآن جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او
لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان
يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب
رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد
وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود
اي يحبون ان تذكر آلهتهم معه لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما
يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من عبد
الدار ورجلان منهم على يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه
في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي
اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وبما به يتناجون اذ هم ذوو نجوى
اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر
مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك
ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما
يصنع لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا
على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه
يقدر على الاحياء والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة

ولو كانوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم

ورطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود
خلقه الذي يبنى عليه سائره وليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى
ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان
تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على
ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول
الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدوركم الموت
وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء
والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا
تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك
لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر
يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه
وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون
وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض
يوم عن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين
يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم
يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما
اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني
يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة والمشاقة وما
ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم
عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك
المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه
رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين المسلمين فشكوا الى رسول الله فنزلت
وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحة ينزغ
بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم

[illegible] يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم
[illegible] من اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات وباحوالهم
ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو
انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته
فان قيل هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت
يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا
داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله عليه السلام فسمي ذلك زبورا
لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا ثم الملائكة وقيل عيسى ابن مريم وعزير
وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم
لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد
الى آخر او تبدلوه واولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني الهتهم
اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله تعالى وايهم بدل من واو يبتغون اي من هو
اي ان الهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله تعالى وايهم بدل من واو مكرر
يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير
الاقرب وضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله
وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله
فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب
ونبي مرسل فضلا عن غيرهم عن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل
وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب
الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة
بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها
ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال
الايات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة وما منعنا ارسال

الآيات الا ان كذب بها الاولون والمراد الايات التي اقترحها [illegible]
احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها
ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه
من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود
وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون
في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم
الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت
فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم
يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا
بها وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول
العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى
وما نرسل ما نرسل من الآيات كايات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك
بوقعة بدر وبالنصر عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس
على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله عليه السلام في العريش
مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج
وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله
تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر
الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما
اوحي الى رسول الله من امر بدر وما اري في منامه فكانوا يضحكون ويستسخرون
ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها
سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا
الله حق قدره من قال ذلك فما انكروا ان يجعل الله الشجر من جنس لا تاكله النار
فوبر السمندل وهي دويبة ببلاد الترك تتخذ منها مناديل اذا اتسخت طرحت في النار

تذهب [illegible] في النار [illegible] وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد
[illegible] المحماة النار فلا تضرها ثم أقرب من ذلك أنه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها
فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات إنما نرسلها تخويفا
للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما أريناك
منه في منامك بعد الوحي إليك إلا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب
الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال ونخوفهم أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة
فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون
من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسرا وبه تعلق من يقول كان الإسرا في المنام ومن
قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل إنما سماها بالرؤيا على قول المكذبين حيث
قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل إليك استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها
عند الكفرة نحو قوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي ذق إنك أنت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه
أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان
الكرة فإن قلت أين لعنت الشجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن
طاعموها من الظلمة والكفرة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما وصفت
بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي
في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون
وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس رض هي الكشوث
التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل وقرئ والشجرة الملعونة
بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا
حال إما من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع
إليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا أرأيتك الكاف للخطاب وهذا
مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير
منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف
لأحتنكن ذريته لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا جرد
ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما

فإن قلت من أين علم ذلك يحتمله وهو من [illegible]
الملائكة صلوات الله عليهم وقد أخبرهم الله به أو أخرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد
فيها أو نظر إليه فتوسم مخايله أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته
في آدم والظاهر أنه فلما صح أكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض
المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره
سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام للسامري
فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس فإن قلت أما كان من حق الضمير
في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير
فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون
للتابعين على طريق الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فإن جهنم جزاؤكم من
معنى تجازون أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور
الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه والفز الخفيف واجلب
من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي
والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى
فاعل نحو تاعب وتعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل
حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك
ورجالك فإن قلت ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله
ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه
بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم
وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه إلى
الشر وبخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجوز أن يكون لإبليس
خيل ورجال وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما
كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع
الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية
بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة

غير لكم وتقديم الوعيد الكافة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الرفيعة
والتسويف بالتوبة وتسويغ الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسل
في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وإيثار العاجل على الآجل إن عبادي
يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان أي لا تقدر أن تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم
يتوكلون عليه في الاستعاذة منك ونحو قوله إلا عبادك منهم المخلصين فإن قلت
كيف جاز أن يأمر الله اللعين بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا إلى الشر
صادا عن الخير قلت هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما يقال
للعصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجري ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون
إلا إياه ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم
لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون
ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم أو لم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين ويجوز
أن يراد ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وهو
على الاستثناء المنقطع أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره
أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض فإن قلت بم انتصب جانب البر قلت
بيخسف مفعولا به كالأرض في قوله فخسفنا به وبداره الأرض وبكم حال والمعنى أن يخسف
جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه فإن قلت ما معنى ذكر الجانب قلت معناه أن الجوانب
والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة
ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله
وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر
عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله
في جميع الجوانب وحيث كان أو يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو إن
لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم
بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم أم أمنتم أن يعيدكم
دواعيكم وتوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم
بأن يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف

أي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك
يخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون تبيعا مطالبا من قوله فاتباع
بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان
على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى إنا نفعل ما نفعل بهم ثم
لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله
ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد إعراضهم حين نجاهم قيل في تكرمة بني آدم
ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير
أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه إلا ابن
آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير
جدك ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت
الملاعق فردها وأكل بأصابعه على كثير ممن خلقنا هم ما سوى الملائكة صلوات الله
عليهم وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم
والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة
التي هي تفضيل الإنسان على الملك وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم
ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم
ثم جرهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا
إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في
الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان
ورووا عن أبي هريرة أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم
فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا
ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا
أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويل
البعيد في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة
لا تنحل عن قلوبهم ومن بدع يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وقرأ
الحسن يدعو كل أناس على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو والرفع بضمار
أذكر

الأكل بالأصابع

أنها علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى
ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة بإمامهم بمن ائتموا به من نبي
أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا وكتاب كذا وقيل
بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم
ومن بدع التفاسير جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيمة بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء
بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا
يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته قرأ أوتي من
هؤلاء المدعين عن عنايته بحيثية فاولك يعرفون كتابهم فتيلا ولكن أن من أوتي من
الجمع فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون
كتابهم قلت بلى ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب
بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل
والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب
عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم
يقرؤون كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ
لأهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء
كقوله ولا يظلمون شيئا ولا يخاف ظلما ولا هضما ومعناه ومن كان في هذه أي
الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا من الأعمى والأعمى مستعار ممن لا يدرك
المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد
النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني
بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل
تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول
فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة روي أن ثقيفا قالت
للنبي عليه السلام لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا
نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا
وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد

واد

مطلب في مكتوب النبي صلعم

وادينا وج فعضد شجره فإذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به وجاؤوا
بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف
لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب
ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول الله عليه السلام فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه
وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم
إياك إنما نكلم محمدا فنزلت وروي أن قريشا قالوا اجعل لنا آية عذاب آية رحمة
وآية رحمة آية عذاب حتى نؤمن بك فنزلت وإن كادوا ليفتنونك إن مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك
فاتنين عن الذي أوحينا إليك من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري
علينا لتقول علينا ما لم نقل يعني ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد
وعدا وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزل عليه وإذا لاتخذوك أي
ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا أن ثبتناك
ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن إليهم لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم
وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين إذًا لو قاربت تركن
إليهم أدنى ركنة لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي لأذقناك عذاب
الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فإن قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت
أصله لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو
عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو
قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا في النار يعني مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك
عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات
كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة
الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا
لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر
الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين

ودليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم
مشايخ العدل والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولاية الله وسبب
موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها
فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين
الله وعن النبي عليه السلام انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان
كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض
من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك خلافك الا قليلا فان الله مهلكهم
وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك
لاستوصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل ارض
المدينة وذلك ان رسول الله عليه السلام لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه
منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة
وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك
من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله عليه السلام
اميالا من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج
الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي
لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة كادوا
ليستفزونك فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل
في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذا لا يلبثوا
عطف على جملة قوله وان كادوا خلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما
بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا
رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المؤكد اي سن
الله ذلك سنة دلوك الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي عليه السلام اتاني جبريل
لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان
يدلك عينيه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس

وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء
وقران الفجر صلاة الفجر سميت قرانا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا
وهي حجة على ابي علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا تشهده
ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان
النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا
بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر
لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القران فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر
اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك
الهجود للصلاة ونحوه التاثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك
عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة
زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على
الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا
نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك
معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود
المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع
الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما
يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى وتشفع
فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي عليه السلام هو المقام الذي اشفع
فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو
محمد صلى الله عليه فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح
بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل
صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث
اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة امنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث

القراءة في الصلوة

وقيل ادخاله المدينه والاخراج من مكه وقيل ادخاله مكه ظاهرا
عليها بالفتح واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوه واخراجه منه مؤديا لما كلفه
من غير تفريط وقيل الطاعه وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان
سلطانا نصيرا حجه تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على
الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب
الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن
ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه انه استعمل عتاب ابن اسيد على اهل
مكه وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله وكان شديدا على المريب لينا على
المؤمن فقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوه في جماعه الا ضربت عنقه
فانه لا يتخلف عن الصلاه الا منافق فقال اهل مكه يا رسول الله لقد استعملت على اهل
الله عتاب ابن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه اني رايت فيما يرى النايم كان
عتاب ابن اسيد اتى باب الجنه فاخذ بحلقه الباب فقلقلها قلقالا شديدا
حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم فذلك
السلطان النصير كان حول البيت ثلثمايه وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كانت لقبايل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله
تعالى فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت
اني ساحدث لك نوبه جديده فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف
النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبيه ولما نزلت
هذه الايه يوم الفتح قال جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما
صنما وهو ينكت بالمخصره في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم
لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعه فوق الكعبه وكان من قوارير صفر
فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكه
يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد وشكايه البيت والوحي اليه
تمثيل وتخييل وزهق الباطل ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا

اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت في كل
وقته وننزل بالتخفيف والتشديد من القران من للتبيين كقوله من الاوثان
او للتبعيض اي كل شي نزل من القران فهو شفا للمومنين يزدادون به ايمانا
ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفا من المرضى وعن النبي عليه السلام من لم
يستشف بالقران فلا شفاه الله ولا يزيد الظالمين الكافرين الا خسارا اي نقصانا
لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان
بالصحه والسعه اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه وناى
بجانبه تاكيدا للاعراض لان الاعراض عن الشي ان يوليه عرض وجهه والناي
بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك عادة
المتكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازله من النوازل كان يوسا شديد
الياس من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون وناء
بتقديم الالف على الهمزه كقولهم راء في راى قل كل يعمل على شاكلته
على مذهبه اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى
والضلاله من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل
عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقه الاكثر
على انه الروح الذي في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استاثر
بعلمه وعن ابي هريره لقد مضى النبي عليه السلام وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم
روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القران ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه
ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي
القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوريه
فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي ان رسول الله لما قال لهم ذلك
قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نوت
من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعه تقول ومن يوت الحكمه فقد اوتي
خيرا كثيرا وساعه تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجره اقلام وليس ما قالوه
بلازم

الى قلة والكثرة ... موصوفا لشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه
الكرم مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها
اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤتى الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله ولئن شئنا لنذهبن
جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة
للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم
نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا لذهاب
به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك
الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء
المنقطع بمعنى لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى
ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم
ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم
ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم
ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك
وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا
ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع
ما في القلوب لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون
جوابا للشرط لقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي
لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم
العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من الثوابت من
زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون المعجز حيث تكون القدرة
فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي
لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كالثاني القديم فلا يقال للفاعل عنه قد عجز

دفع العذاب

٩

ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال
الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس ... ولو كان بعضهم لبعض
ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته
وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا
ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا
كفورا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم
الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل المبهوت المحجوج المتعثر
في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض
يعني ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع الماء لا تقطع يفعول من
نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشا نخسف
بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع
كسفة كسدرة وسدر وبعضه مثل كسل ... بما تقول شاهدا بصحته
والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله رماني بامر كنت منه ووالدي
بريا واني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر نحو لولا انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب اسمار
في معارج السماء محذوف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك
ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس
قال عبد الله ابن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا
انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك
كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل اية
لقالوا هذا سحر كما قال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا
من السماء فظلوا فيه يعرجون وحسبك ان الايات الباقية التي هي القرآن وسائر الايات
ليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ
قال سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه هل كنت
الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله
عليهم

من الآيات فليس الى الآيات التي انما هي الى الله فما بالكم تتحيرون فيها على ان الاولى
نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منع الايمان
بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم
ان يرسل الله البشر والهمزة في أبعث للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر
عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا لامثاله او الى الانبياء ثم قرر
ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون
باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض
قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم الى المراشد
فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى المختار منهم للنبوة فيقوم
ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا
وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب
شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه
كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية
للنبي عليه السلام ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله من وفقه
ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن
يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون
في النار على وجوههم وقيل لرسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي
امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما
كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه
فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا
ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا
موقري الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر
انهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن
لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد
الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها

لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم بالبعث ولانه ادخل
في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله أئنا لمبعوثون
فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا
لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر
على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال أأنتم اشد خلقا
ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل
الا جحودا لو حقها ان يدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم
تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل
من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل
به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي
يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة
على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم
لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي
وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ
والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح
الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع
والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا
فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم
من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان
والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد
بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام
ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا هو بيض مكسور نصفين وجوز مكسور
وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل رسول
الله عليه عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا

[illegible]

ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا
تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسل بني اسرائيل
او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم
معك ويدل عليه قراة رسول الله صلعم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز
وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام
واصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت
كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم
تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم
حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او
يخبرونك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون
ما انزل هؤلاء الآيات الا الله تعالى بصاير بينات مكشوفات ولكنك معاند
مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم
على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها
رب الارض والسموات ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك
مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت
صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك
مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا
عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرا ابي بن كعب
وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان
يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل
والاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي
اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم
لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف
الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله

لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه
من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم
من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك
وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب بفعل يفسره
فرقناه وقرا ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس
انه قراه مشددا وقال لم ينزل في يومين او في ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون
سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على
مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا
امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وباعراضهم
عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك
فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرايع
قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا
تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب
المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلعم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان
كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فان
قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا
لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله
وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا
به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للاذقان قلت السقوط
على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه
الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى
ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت
معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت
لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين
وخرورهم في حال كونهم باكين عن ابن عباس رضي الله عنه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال

نهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل
ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى
النداء وهو يتعدى إلى مفعولين تقول دعوته زيداً ثم يترك أحدهما استغناء عنه
فيقال دعوت زيداً والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير يعني ادعوا
الله أو ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين
في أيّاً عوض من المضاف إليه وما صلة للإبهام المؤكد لما في أي أي أيّ هذين الاسمين
سميتم وذكرتم فله الأسماء الحسنى والضمير في فله لا يرجع إلى أحد الاسمين المذكورين ليس
ولكن إلى مسماهما وهو ذاته تعالى لأن التسمية للذات لا للاسم والمعنى أيّاً ما تدعوا
فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه
كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة
بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا
يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة
أفعال وأذكار وكان رسول الله عليه السلام يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا
وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت
حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلاً وسطاً وروي أن أبا بكر
رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي
وكان عمر يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر أبا بكر
بأن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت
بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلاً بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار
وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم
تضرعاً وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة وقل
من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به
ليدفعها بموالاته فإن قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل
بكلمة التحميد قلت لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة
فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي عليه السلام إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب

علّمه هذه الآية عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر
الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقّن الله عباده ووفقهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه وهي نعمة الإسلام
وما أنزل على عبده محمد عليه السلام من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له
عوجاً ولم يجعل له شيئاً من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان
والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة
فيه فإن قلت بم انتصب قيّماً قلت الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا
يجعل حالاً من الكتاب لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في حيز
الصلة فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره
ولم يجعل له عوجاً جعله قيّماً لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت الاستقامة فإن
قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر
قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو
من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيّماً على سائر الكتب مصدقاً لها
شاهداً بصحتها وقيل قيّماً بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ
قيَماً لينذر يتعدى إلى مفعولين كقوله إنا أنذرناكم عذاباً قريباً فاقتصر على أحدهما أنذر
وأصله لينذر الذين كفروا بأساً شديداً والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس
العذاب ويبؤس بؤساً وبآسة من لدنه صادراً من عنده وقرئ من لدنه
بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فإن
قلت لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر قلت قد جعل المنذر به هو
الغرض المسوق إليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً متعلقاً بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر
المبشر به في قوله أن لهم أجراً حسناً استغناء بتقدم ذكره والأجر الحسن الجنة ما لهم
به من علم أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط

وتقليدا للآباء و[illegible] إياهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله
ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه
ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما
لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به كبرت كلمة وكلمة بالنصب على
التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه
قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم
على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في
قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات فلا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا
به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر
وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في
كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة
[illegible] شبهه واياهم حين تولوا عنه لم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف
على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط على آثارهم حسرات
وباخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى
الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي
فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له
اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب
يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها
من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل
الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون
ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضا لا نبات فيها
بعد ان كانت خضرا معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به
كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات
الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك
كله كأن لم يكن قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء

حيوتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن
ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد
وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس
رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل
ومكانهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا
من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك
وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة
الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله
كقولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع
يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه
يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال
بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد
الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار
وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج
الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فيعلق عنه لنعلم فلا يعمل فيه وقرئ
ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل
يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم
لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين
علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم
ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل
قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس
ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن
ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب
بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى

كاضربه قوله واعرضنا بالسيوف القوانسنا على ضربنا القوانس فقد بعدت
المنام وان صغر قريب حيث است ان يكون لخصى فقال ثم رجعت مضطرًا
الى يقظتين واصحابه فان قلت كم جعل الله العلم باحصائهم المدة غرضًا
في الضرب على آذانهم قلت الله تعالى لم يزل عالمًا بذلك وانما اراد ما تعلق به
العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم
وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم
وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران
وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار
وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب
السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من
شط اذا بعد ومنه اشطة السوم وفي غرم هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان
واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم
بحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة
الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت
افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض
حتى صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني
واذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا
على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون
منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير
الله مرفقا وقرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع انما جزموا بذلك
ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان خرجهم نبي
في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فحذفت بادغام التاء في الزاي
او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار نحو تحمر وتحمار وكلها من الزور
وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين
وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم

قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم
الشمس في طلوعها ولا في غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة
الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء
وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله بهم من
ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك
السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف
شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان
شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في
الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة
السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين
فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد
من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل
احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في انكد وصف عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم
الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل
تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على
المصدر منصوبا بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى
وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه
حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف
حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد
الفناء وقيل الباب وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي
بها غير منكر وقرئ لملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها
ياء رعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي
يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم
اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال

[illegible] فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله
منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا أنتهي حتى
أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف
بعث الله ريحا فأحرقتهم لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم
بعد النومة كذلك بعثناهم إذكارا بقدرتنا على الإنامة والبعث جميعا ليسأل
بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة
الله ويزدادوا يقينا ويشكروا لما أنعم الله به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما
أو بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
بالظن الغالب وأنه لا يكون كذبا وإن جاز أن يكون خطأ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم
إنكار عليهم من بعضهم وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأنهم قد علموا بالأدلة أو بإلهام
من الله أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله وروي أنهم دخلوا الكهف
غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم
وأشعارهم قالوا ذلك فإن قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذكر حديث المدة
قلت كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر
مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث أن عرفجة
أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأمره رسول الله أن يتخذ أنفا من ذهب
وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم
بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم
وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم
ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي
المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم النفقات
ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه أوثق عليك نفقتك
وما حكي عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله
ويتعوق منه ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج أتوه فبذلوا
له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلهم فإذا انفضوا عنه قال

لي عند ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن أيها أي أهلها فحذف
الأهل كما في قوله واسأل القرية أزكى طعاما أحل وأطيب أو أكثر وأرخص فليأتكم برزق منه
وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في التخفي
حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه إلى الشعور
بنا فسمى ذلك إشعارا منه بهم لأنه سبب فيه إنهم الضمير إنهم راجع إلى الأهل
المقدر في أيها يرجموكم يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم أو يعيدوكم
أو يدخلوكم في ملتهم بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها والعود في معنى الصيرورة
أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا
إذا أبدا إن دخلتم في دينهم وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا الذين أطلعناهم على حالهم أن
وعد الله حق وهو البعث لأن حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم
يبعث وإذ يتنازعون متعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم
ويختلفون في حقيقة البعث وكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد
وبعضهم تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث
حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله أصحاب
الكهف ابنوا عليهم بنيانا أي على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضنا بتربتهم
ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على أمرهم
من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي
فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي يتذاكر الناس بينهم
أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله منهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم
حين توفوا كيف يخفون أمرهم وكيف يسدون الطريق إليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم
بنيانا روي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام
وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على
الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف
ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني إني أحب أحباء الله
فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براعي معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف

فكانوا يعبدون في غيضة ثم ضرب الله على آذانهم وقيل ان بعثهم الله ملك بعد ملتهم رجل صالح
مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك
بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى
الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما
دخل المدينة من بعثوه ليبتاع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك
واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت
الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى
مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت
من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا
ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في
انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم
او هو من كلام الله تعالى رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من
الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله من اهل الكتاب سيقولون الضمير لمن
خاض في قصتهم في زمن رسول الله من اهل الكتاب والمؤمنين سالوا رسول الله عنهم
فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم
في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه
انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا
عند النبي عليه السلام فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا
ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم
وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا
ذلك باخبار رسول الله عليه السلام عن لسان جبرئيل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة
نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن
يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في
امره والسابع الراعي الذي وافقهم هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس

واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جا بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين
قلت فيه وجهان ان يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم
تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو
صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب
اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا
ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى
الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون ويقولون ثلاثة رابعهم
بادغام الثاء في تاء التانيث وثلثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة
ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلثة وكذلك خامسهم كلبهم
وثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت
عليها دون الاولين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة
كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت
بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر
ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم
كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم والدليل عليه
ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما
يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها
عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات
وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي
سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن
وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا مراء ظاهرا
غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل
ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا
تسال احدا منهم عن قصتهم سوال متعنت حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف

ما عندك لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراه والمجامله ولا سوال مسترشد لان
الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشي ولا تقولن لاجل شي
تعزم عليه اني فاعل ذلك الشي غدا اي فيما تستقبل من الزمان ولم يرد
الغد خاصة الا ان يشا الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل
كذا الا ان يشا الله كان معناه الا ان تعترض مشية الله دون فعله وذلك ما لا
مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشا الله
ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشا الله اي الا بمشيته وهو
في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قايلا ان شا الله وهذا نهي تاديب من الله
لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين
فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه
وكذبته قريش واذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شا الله اذا فرط منك نسيان
لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثنا ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر
وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع ذكر الاستثنا
او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن
عطا يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقها انه لا اثر له في
الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثنا
المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة
بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه
ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
كلمة الاستثنا تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت
بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل
على ادا الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه
لعل الله يوتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا
من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه الله من قصص الانبيا والاخبار بالغيوب
ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك

عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشي آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا
وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها
ولبثوا في كهفهم ثلثماية سنين يريد لبثهم فيه احيا مضروبا على اذانهم هذه المدة
وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل
الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن
قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وفي قراة عبد الله
وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثماية وقرئ ثلثماية سنين على وضع الجمع موضع
الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراة ابي ثلثماية سنة تسعا اي تسع
سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي
فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه
للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك
السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشيا واصغرها كما يدرك اكبرها
حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات
والارض من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضايه احدا منهم وقرا
الحسن ولا تشرك بالتا والجزم على النهي كانوا يقولون له ايت بقران غير هذا
او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل
فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على
ذلك هو وحده واذا بدلنا اية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا
تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من روسا الكفرة لرسول الله نح هولا الموالي الذين
كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقرا المسلمين حتى نجالسك
كما قال قوم نوح انومن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم
وثبتها قال ابو ذويب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس
الجبان تطلع بالغداة والعشي دايبين على الدعا في كل وقت وقيل المراد صلاة
الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال
وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم

فلما عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيدا وانما عدي
بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه
اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا
تعدهم او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك
اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين
الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين
لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدّ عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل
الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى
نهى رسول الله ان يزدري فقراء المؤمنين وان تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي
الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه
من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك
اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة
اي لم نسمها بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم
المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على
معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق
والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل قل الحق من ربكم
الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم
ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما
مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما
يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت
مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل
حائط من نار يحيط بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم
والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم
ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه هو كعكر الزيت فاذا
قرب اليه سقطت فروة وجهه فيه بئس الشراب ذلك ساءت النار مرتفقا متكا
من المرفق

وهذا المشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان
يكون من قوله اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح
او لكن خبران وانا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او
تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت
انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا
والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير
او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى للابتدا
والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امر حسنها في الحسن وجمع بين السندس وهو
ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكا
لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال
الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس
والاخر مسلم اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله قال قائل
منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر
ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار فانا اشتري منك
ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك
دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا
صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك
الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به
في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من
بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله
وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما
بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان
يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي
جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك
غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه

وصف الجنتين بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطهما ما يقطعهما ويفصل بينهما مع
اشتمالها على الحسن والترتيب الانيق ونعتها بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص
ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح
بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص واتت حمل
على اللفظ لان كلتا لفظه مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا
على التخفيف وقرا عبد الله كل الثمر اتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اى
انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اى كان له مع الجنتين
الموصوفتين الاموال الداثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل
وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا انصارا وحشما وقيل
اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار
عنه اذا رجع وسالته فاجاب كلمة يعني قطروس اخذ بيد اخيه المسلم يطوف به
الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت
لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني
انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا فهو جنته لا غير ولم
يقصد الجنتين ولا واحدا منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر
لنعمة ربه معرض نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك
في بيد ودوام جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره
بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم
يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن
رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما
يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله
وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله
وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا
وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي
منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك

لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب
بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها
على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القايل
وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك
وهو ضمير الشان وقوله الله ربي الجملة خبر انا والراجع منها اليه
ياء الضمير وقرا ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك
وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو
انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا
ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان
قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت
كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غايب لكن عمرو حاضر ما شاء الله يجوز ان
تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله
او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شي شاء الله كان ونظيرها في حذف
الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها
والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل
بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة
الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا
يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حايطه
ايام الرطب وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب فقد
جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي
قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر
منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة
خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران
والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها

وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل
حسبانا مرامي الواحد حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضاء
يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط بثمره
عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه
ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه
من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم ويقلب كفيه عبارة عن الندم
والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط
في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق
فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت
عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها
ياليتني لم اشرك تذكر من موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا
حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه
ودخولا في الايمان وقرئ ولم تكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ
كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت ما معنى قوله
ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو
وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف
وهو استحقاقه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله
الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى
هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها
احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان
والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به
كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما
دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله
ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم
يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا

من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي
لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله
لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد
بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة
وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها
وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه
وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي
ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته
ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم
الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه
حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون
اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء
والافناء مقتدرا الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى
عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل الصلوات الخمس وقيل سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا
اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله
ونصيبه في الاخرة وقرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت
اي تسير في الجو ويذهب بها بان يجعلها هباء منبثا وقرئ وترى الارض على
البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم
الى الموقف وقرئ فلم يغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه
الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل شبهت حالهم بحال الجند المعروضين
على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب احد
احدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم
ويجوز ان ينتصب باضمار اذكروا يعني لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل
جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت

لم يحشرناهم ماضيا بعد نحشر وترى قلت الدلالة على ان حشرناهم قبل
التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظايم كانه قيل وحشرناهم قبل
ذلك موعدا اوقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور
الكتاب المجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا دعوا بهلكتهم التي هلكوها خاصة من
دون الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة
يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاه اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني
قليلا ولا كثيرا لان الاشيا اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد واما كان عندهم
صغاير وكباير وقيل لم يجتنبوا الكباير فكتبت عليهم الصغاير وهي المناقشة
وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس القهقهة
والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغاير قبل الكباير
الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او
جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق
او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب اباءهم كان
من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين
كان قايلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفا للتسبيب ايضا
جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كساير من سجد لادم لم
يفسق عن امر الله لان الملايكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس
كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله لصيانة
الملايكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من
ضاد وزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملايكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا
ثم ورّكه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال
فواسقا عن قصدها جوايرا اوصار فاسقا بسبب امر ربه الذي هو قوله
اسجدوا لادم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد
منه تتخذونه وذريته اولاده او اتباعه اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس
لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم

انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى
مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في
خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا
انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا اي وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا
فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما
لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله والمعنى
وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرا علي رضي الله عنه متخذا
العين المضلين بالتنوين على الاصل وقرا الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها
الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون العين وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين
جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه ويقول بالياء
والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من
وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا
كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب
الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة
هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل
اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملايكة وعزيرا وعيسى
ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط
لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلا الجنان فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة من مصرف
اكثر شيء جدلا اكثر الاشيا التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد
خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل
كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف
محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين
وهي الهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا
انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا ادحاض القدم

... منهما وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم
هزوا مصدرا بالتسكين اي اخذ هذا موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل
ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك بايات ربه بالقرآن
ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر
حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر
فيهما ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لابد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا
فلا يكون منهم اهتداء البتة كان محالا منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها
واذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا
ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول
عن مقدر قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا والغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد
على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله
عليه السلام بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال
وال اذا نجا ووال اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم
لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفته لان اسماء الاشارة
توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبره ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار
اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا
مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا ضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما
لا يستأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك او وقته وقرئ
لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد
وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل
عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل
كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان
فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو

... وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها
... سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي
... له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه
... ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر
... المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل
... الغايب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح
... نا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول
لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر وهو ملتقى
بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير
ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ
من يفعل كالمشرق والمغرب والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا
والحقب ثمانون سنة وروي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها
بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعم الله
وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله
عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين
وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين
الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي
يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال
فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى
او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم
منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ
حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني
فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء
طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى
بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على

علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا ف
ما ينقص فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما نقص علمي
الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما أي نسـ
يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع أن
يأمر فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل إن يوشع
في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما أصاب
الماء وبرده عاش وروي أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك
فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سرباً أمسك الله جرية الماء على الحوت
فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر فلما جاوزا
فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان
يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة
الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد
ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا إشارة
إلى مسيرهما وراء الصخرة فإن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه
أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حيوة
السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه
مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا
الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى الظهر الغد وحتى طلب موسى عليه الحوت قلت
قد شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان
وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس
فأعان الإلف على قلة الاهتمام أرأيت بمعنى أخبرني فإن قلت ما وجه التئام
هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني نسيت الحوت لا متعلق
له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه
إلى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني
إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون

نهر الذيب وأن أذكره بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان
وفي قراءة عبد الله أن أذكركه وعجباً ثاني مفعولي اتخذ مثل سرباً يعني
واتخذ سبيله سبيلاً عجباً وهو كونه شبيه السرب أو قال عجباً في آخر
كلامه تعجباً من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين
وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
وقيل إن عجباً حكاية لتعجب موسى عليه وليس بذاك ذلك إشارة إلى اتخاذه
سبيلاً أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة للظفر بالطلبة من لقاء الخضر
قرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف
فالأكثر فيه طرح الياء اتباعاً لخط المصحف فارتدا فرجعا في أدراجهما
قصصاً يقصان قصصاً أي يتبعان آثارهما اتباعاً أو فارتدا مقتصين رحمة
من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب
رشداً قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علماً ذا رشد أرشد به في ديني فإن
قلت أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن
ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع
إليه في أبواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي آخر
مثله وإنما يغض منه أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس
إن نوفاً ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى
بن ميشا فقال كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها
مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير والرجل
الصالح فكيف إذا كان نبياً لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك
ويأخذ في الإنكار وخبراً تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأنه لم يحط بمعنى لم يخبره
فنصبه نصب المصدر ولا أعصي في محل النصب عطف على صابراً أي ستجدني
صابراً وغير عاص أو لا في محل عطفاً على ستجدني رجا موسى عليه لحرصه على
العلم وازدياده أن يستطيع معه صبراً بعد إفصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة
الأمر فوعده الصبر معلقاً بمشيئة الله علماً منه بشدة الأمر وصعوبته

وان الحمية لتاخذ المصلح عند معاينة الفساد شي لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم
الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بري من ان يباشر
ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل وكيف اذا
لم يعلم وقرى فلا تسلني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت
مني شيا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في
نفسك ان لا تفاتحني بالسوال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا
من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان
السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة
ارى وجوه الانبيا وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ
الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الما فجعل موسى يسد
الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرى لتغرق بالتشديد وليغرق
اهلها من غرق واهلها مرفوع جيت شيا امرا اتيت شيا عظيما من امر الامر
اذا عظم قال داهية دهيا ادا امرا بما نسيت بالذي نسيته او بشي
نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة على الناسي او اخرج
الكلام في معرض النهي عن المواخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره
في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض
كقول ابرهيم هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا
من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضا
وترك المناقشة وقرى عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب
براسه الحايط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت
لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفا
قلت جعل خرقها جزا للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه
والجزا قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة
لم يعقب الركوب وقد تعقب القتل لقا الغلام وقرى زاكية وزكية وهي الطاهرة

من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ
الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري
كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى النبي عم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت
من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرى بضمتين وهو المنكر
وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل
معناه جيت شيا انكر من الاولى لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا
لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة
بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد
هذه الكرة او المسلة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني
على ذلك وقرى فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرى فلا تصحبني اي فلا تصحبني
اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرى لدني بتخفيف النون
ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله عم
رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو
لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة
وهي ابعد ارض الله من السما ان يضيفوهما وقرى يضيفوهما يقال ضافه اذا كان
له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار
واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي عم كانوا اهل قرية لياما
وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد
ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم
لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفوس اذا اردن نصولا
وقال يريد الرمح صدر ابي برا ويعدل عن دما بني عقيل وقال حسان
ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج
ان يطفي وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب
والسكوت والتمرد والابا والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة
للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال اذا قالت الانساع للبطن الحق

تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكا الي بعيري وتجهم
فان يك ظني صادقا وهو صادقي ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز
الابلق وبعضهم يأبى على اجفانه اغفاءه هم اذا انقاد الهموم تمردا
ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طائعين
ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه
من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى
ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض
اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل
من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن
اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه
قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل
نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار
الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدوا مواسيا
فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه
اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت
والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في
شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما
عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار
اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز
ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا
فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي عبلة فاضاف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به
لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم
امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان
عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان
اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب فلم قدم عليه

قلت النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب
وحده ولكن مع كونها للمساكين وكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة
ابي وعبد الله كل سفينة صالحة وقرأ الجحدري وكان ابواه مؤمنان على ان كان
فيه ضمير الشأن فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين
المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق
بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان
وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا
بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره
وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك
والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا
حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة
الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما جارية
تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا
وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقيل اسم الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول
اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح
من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن
بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن
بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه
انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم
واحلت لنا اراد قوله والذين يكنزون الذهب الآية وكان ابوهما صالحا اعتداد
بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي
حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى
بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال
قد انبأنا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد
ربك

لان في بعضها ما فعلته وما فعلته عن امري عن اجتهادي ورايي وانما
فعلته بامر الله ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان
ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود واختلف فيه
فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة
وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورايه
وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين
فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه
سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احبه الله
فاحبه وساله ابن الكوا ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن
كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة فمات ثم بعثه الله فضرب على
قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى
التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبي عليه السلام سمي ذا القرنين لانه طاف
قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل
انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب انه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك
وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه
ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا
كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود
سالوه على جهة الامتحان وقيل ساله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد
الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في
ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم
او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك
اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرى فاتبع
قرى حمئة من حمئت البير اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر
رضي الله عنه كنت رديف رسول الله على جمل فراى الشمس حين غابت فقال
اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم فقال فانها تغرب

في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر وابي عمرو والحسن وقرا ابن عباس حمئة وكان
ابن عباس عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله
ابن عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المومنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس
تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان
ثم رجل فانشد قول تبع فراى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد
اي في عين ماء ذي طين وحمإ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان يكون
العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وبين ان
يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته
فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين
واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر
وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى
او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرى فله جزاء الحسنى اي فله
الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب
النكر ومن امرنا من ما اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق
ولكن بالسهل الميسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ايسر كقوله
قولا ميسورا وقرى يسرا بضمتين وقرى مطلع بفتح اللام وهو مصدر
والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها
يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية
وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس
دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت
الصين فسالت عن هولاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فاذا احدهم يفرش
اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جيتنا تنظر كيف
تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي
ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء
كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون
السمك

الثاط الطين
الخلب الحمأ
كذلك الطين

ويطلعون في الشمس فينضجهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب
من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي
القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود
والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا
مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون من الابنية والاكنان
من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما
بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم
كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن
منهم بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم
والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح
لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح
مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما
انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع
بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسما وظرفا وهذا المكان في منقطع ارض
الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا
لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم
وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم
مجهولة غريبة ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا
مهموزين وقرأ رؤبة آجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك
وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل
كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا
احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله عليه السلام
في صفتهم لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح
وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر قرئ خرجا
وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا

بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما
تبذلون لي من الخراج لا حاجة لي اليه كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاكم
قرئ بالادغام فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل
وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردوم
رقاع فوق رقاع قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر
والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد
ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس
المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووي وعن
رسول الله عليه السلام ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة
سوداء وطريقة حمراء فقال قد رايته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما
يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون
والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا
منصوب بافرغ وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه وقرئ قال ائتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء
قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا بادغام
التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه
من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقبه لصلابته وثخانته هذا اشارة
الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين
من تسويته فاذا جاء وعد ربي فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف ان ياتي
جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد
ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد
اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا
وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم
وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون

ماورا السد من حصون البلاد ويروى يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه
ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا
مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل في اذانهم
فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري عن اياتي
التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه
صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ
لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم فلا
استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون
لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود افظن
الذين كفروا وقراه علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم
ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الخبر او على الفعل لان اسم الفاعل
اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى
ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة انزل
ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع
وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل
الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل
حروراء وعن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم
في العظم كجبال فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري
بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان
انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء
فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون
في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون
نصبا على الذم او جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم
الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني
لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى سواها بل هي اجمع لاغراضهم وامانيهم

دون كهيعص اول العنكبوت

هي غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف
الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود المداد اسم ما تمد به الدواة
من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى
لو كتبت كلمات الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس
لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات
غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد
به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرا الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي
ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت
يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن
كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء
او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة اي لا يرائي بعمله
ولا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن
زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال
ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر
العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الكهف من اخرها
كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السما
وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا
يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه
بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يستيقظ

٢٠

طالعه وقابل بعد الاتمام وعلم الكلام

حسن بن محمد بن محمود السمرقندي وانتهى الفراغ منه في العشر من شهر الله المبارك
... عشر كاتبه لسنة ٦٧٣
في المحروسة المسماة بطوس

الراى العتيق
علم

هذا دعاء استمع عشرة مرة عن خير الانام عن

عن رسول الله عليه السلام اذ جاء رجل من بني اسد وقال يا محمد لم قومي هلكوا بنعمة ماتوا
من موتهم الا الذي تكلم معك وهكذا القبيلة يموتون بمرض يسير وهو علينا عجب
فامر رسول الله عليه السلام لذلك الرجل اذهب الى قبيلتك واجمع اربعين رجلا مسمى محمد واحمد
يصومون يوما ولا يتكلمون بكلام الا ما كان من كلام ربنا او خبر امي ويسبحون
ويمجدون حتى الظهر فاذا جاء امر الله اذنوا كلهم على فوق مسجد الجامع فقال ذلك الرجل
يا محمد ليس لنا مسجد مجتمع فيه نصلي فرادا حتى قربتين فقال عليه السلام في موضع طاهر
فاذا فرغوا من الاذان صلوا الظهر خاشعين خاضعين فاذا فرغوا من الصلوة
دعوا ربهم منيبين اليه وقالوا يا رب البلد الحرام والبيت الحرام والركن والمقام وزمزم
أسئلك يا رب الارباب ويا مسبب الاسباب ويا مفتح الابواب بحق آدم واعترافه بذنبه
وبحق الشيث وعبادته وبحق نوح ودعوته وبحق ادريس ورفعته وبحق جرجيس ودوامه
على التقوى والدعوة وبحق ابراهيم وخلته وبحق اسحق واماتته وبحق موسى ومخاطبته وبحق عيسى
وزهده عن الدنيا وبحق جبريل وامانته وبحق ميكائيل وقسمته وبحق اسرافيل ونفخته وبحق عزرائيل
وقبضته وبحق العرش وعظمته وبحق الكرسي وسعته وبحق اللوح وحفظه وبحق القلم وجريه
وبحق السفرة الكرام البررة يا كهيعص يا حم عسق يا طيمنا يا صعفنا
ادفع عنا البليات والواقعات وارفع من بيننا هذه الآفات ويقولون
اربعين مرة الله ربنا يا رباه يا غاية المناه واربعين مرة يا دافع البلاء والبليات
ادفع عنا هذه البلية والهي بحسم بلا بحسب الله ولا يخيب هذا منقول عن خط ...